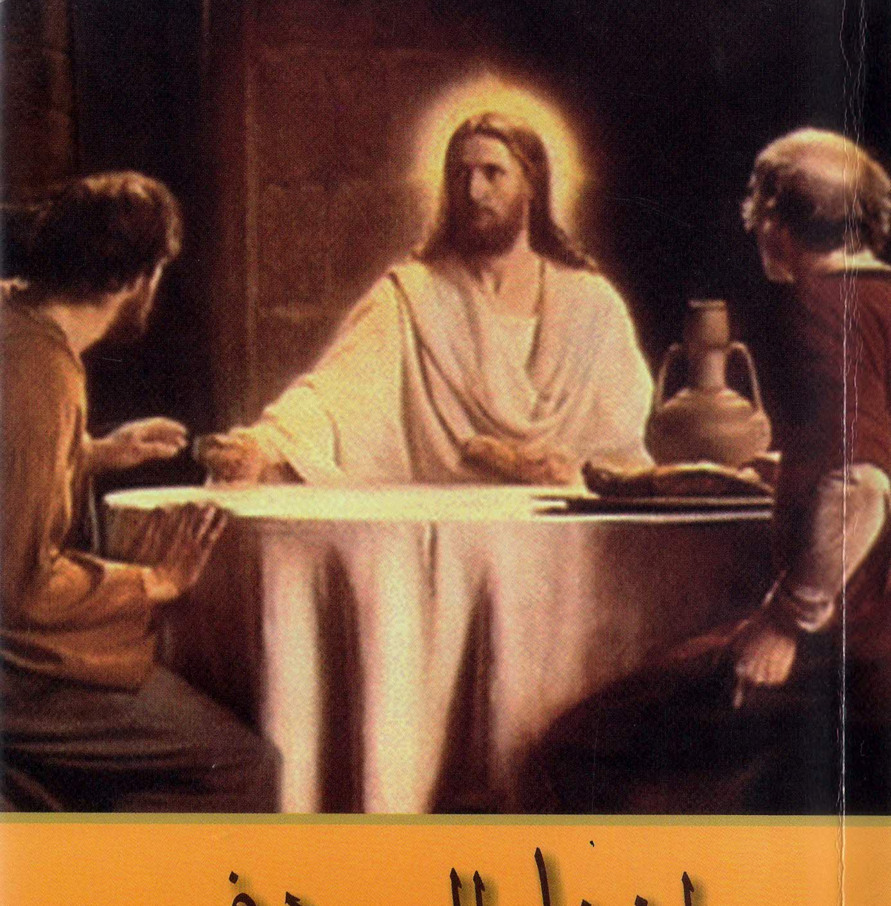


اختبار الوجود في حضرة الله

إختبار الوجود
في
حضرة اللّه

أحاديث ورسائل ومبادئ «الأخ لورانس»،
الراهب بدير «الكرمليين الحفاة» في فرنسا
في القرن السابع عشر والتي جمعها الأب رئيس الدير آنذاك.

اسم الكتاب: إختبار الوجود في حضرة الله
للراهب الأخ لورانس.

عن كتاب : **The Practise of the Presence of God Trans.E.M.Blaiklock,Hodder And Stoughton,1981,London**

ترجمة: إحدى الراهبات.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٠٩٨١/٢٠١٠

رقم الإيداع الدولي: 977-5545-58-7

المحتويات

نبذة عن الأخ لورانس

هذا الكتاب هو عبارة عن أحاديث ورسائل ومبادئ «الأخ لورنس»، الراهب بدير «الكرمليين الحفاة» في القرن السابع عشر.

واسمه الأصلي: «نيقولا هيرمان» وُلد في هيريميني Heremiri في اللورين بفرنسا. وقد صار جندياً بينما كان لم يبلغ العشرين من عمره. وأثناء إغارة السويد على فرنسا، جُرح، فترك الجيش ولكن غالباً بعاهة مستديمة. ثم وجد عملاً كخادم. ولكن العمل بحسب شهادته هو لم يكن مُوفَّقاً. أما ما تبع ذلك من حياته فغير مؤكد. وكم كان سيكون مُفرحاً لنا لو كان لدينا معلومات عن حقيقة التأثير الأول الذي اعترض حياته بعد تجديده في سن الثامنة عشرة، والذي أدى به إلى هذا التعامل العميق مع الله، والذي منه نبعت كل هذه الاختبارات اللاحقة. ولكن للأسف لا نعرف ذلك. وفي منتصف عمره، ولكن في أي سن بالضبط لا نعرف، قُبل كأخ مُبتدئ في رهبنة «الكرمليين الحُفاة». وفي هذا الوقت تقريباً وبعد أربع سنوات من الإجهاد الناتج من إصابته السابقة

وهو بالجيش، وبعد تسليم كامل لمشيئة الله، بدأ هذه المرحلة من حياته ذات الأسلوب الخاص في اختبار الإحساس بالوجود في حضرة الله.

هذا كل ما نعرفه عن تاريخ حياته، بالإضافة إلى ما ورد عَرَضاً في كتاباته وأحاديثه. وقد توفي يوم ١١ فبراير عام ١٦٩١، وكان قد بلغ من العمر حوالي الثمانين عاماً.

الجزء الأول

أحاديث الأخ لورانس

وتغطي مرحلة تمتد إلى ٥١ شهراً

الحديث الأول

٣ أغسطس ١٦٦٦

✝ في اليوم الذي رأيت فيه الأخ لورنس لأول مرة، أخبرني أن الله شرَّفه بنعمة تفوق الطبيعة عندما تغير في سن الثمانية عشرة. ففي ذات يوم من أيام الشتاء، وبينما هو يتطلع لشجرة تتساقط أوراقها، تأمل في أنه بعد حين سوف تظهر أوراقها من جديد، وبعد ذلك تزهر ثم تثمر؛ قَبِـلَ فكرة سامية عن عناية الله وقوته. وهذه الفكرة (أو الرؤية) لم تُمحى من نفسه أبداً. هذه الرؤية جذبته كلياً من العالم وأعطته حباً لله جعله لا يستطيع أن يشرح كيف زادت تلك المحبة عمقاً خلال أربعين سنة منذ أن قَبِـلَ هذه النعمة.

✝ قال: إنه كان تابعاً لأحد الأغنياء وكان قوى البنية، يحطم كل شئ. وقد فكَّر أنه لو دخل ديراً فهذا ليقدم ندماً على أفعاله وأخطائه غير اللائقة، وبهذه الطريقة يكون قد ضحى بحياته وسعادته. لكن الله - كما يقول - خيَّب ظنه لأنه لم يجد في

الدير سوى الحياة الوادعة مما جعله يكاد يقول لله: لقد خدعتني.

✠ قال: يجب أن نثبِّت أنفسنا بقوة في الوجود في حضرة الله بالحديث الدائم معه. فمن المخجل أن نترك الأُلفة مع الله لنعطى فكرنا للتوافه. ويجب أن نغذى نفوسنا بإدراك سام عن الله، ومن هذا الإدراك نقتنى سروراً عظيماً في أن نكون له. يجب أن نعيش الإيمان في حياتنا. من المحزن أننا نملك إيماناً قليلاً هكذا. وبدلاً من أن يتخذ الناس من الإيمان قاعدة لحياتهم، على العكس نراهم يُرضون أنفسهم بعبادات صغيرة مبتورة تتغير يوماً فيوماً. طريق الإيمان هذا، كما يقول، كان هو روح الكنيسة وكان كافياً لأن ينقلنا لأعلى مستوى في الكمال.

✠ يجب أن نعطى أنفسنا تماماً لله في تسليم خالص، سواء بالنسبة لأحداث حياتنا الزمنية أو الروحية على حد سواء، وأن نجد سعادتنا في صنع مشيئته مهما كانت طريقته في قيادتنا، سواء عن طريق الألم أو التعزية، فالاثنان سواءٌ عند الذي أعطى نفسه لله بالحق.

✠ يجب أن نتَّصف بالأمانة في أوقات الجفاف الذي به يختبر الله محبتنا له. وفي هذه الأوقات يجب أن نؤدي أفعال الخضوع والتسليم له، والتي بفعل واحد منها يتم تقدم كثير في الطريق الروحي.

✠ إنه لا يتعجب مما يسمع عنه كل يوم من بؤس وخطايا، بل على العكس كان يتوقع أكثر من هذا بالمقارنة مع الشر الذي في مقدور الأشرار أن يفعلوه. إنه يصلى لأجل الخطاة. ولكن لأنه يعلم أن الله يستطيع أن يشفيهم متى أراد، فهو لا يقلق من أجل هذا كثيراً.

✠ لكي نصل لتسليم النفس لله كما يريده الله لنا، فإنه يليق أن نراقب باهتمام حركات النفس التي تختلط مع الاهتمامات الروحية مثلها مثل الخطايا الكبيرة. والله يعطى استنارة في هذا للذين عندهم الرغبة الصادقة أن يكونوا له. ويقول: إذا كانت لديَّ هذه الرغبة، فالله نفسه سيكون لي، أما بدون رغبتي هذه فلا يجب أن أتقدم لأراه ثانية.

٢٨ سبتمبر ١٦٦٦

الحديث الثاني

✠ قال: إنه دائماً يُحكَم بالمحبة دون أي اهتمام آخر ودون اعتبار لذاته أنه سينجو أو سيهلك، واضعاً في نفسه كغاية لكل أفعاله أن يقدمها حباً بالله. وبهذه الطريقة استراح تماماً. إنه يفرح -كما يقول- حينما يلتقط قشة من الأرض لأجل محبة الله وحده، باحثاً عنه بكل إخلاص، عنه هو وليس سواه، ولا حتى هباته.

✠ هذا الاتجاه في نفسه جعل الله يمنحه هبات من النعمة بلا نهاية؛ ولكنه وهو ينال ثمار هذه النعم، أي المحبة التي تحملها، رفض المتعة الناجمة عن هذه النعم. لأنها - كما قال - ليست الله ذاته. حيث أننا نعرف بالإيمان أن الله أعظم، وهو جَدٌّ مختلف عما نحس به. وفي هذا التعامل يحدث جهاد عجيب بين الله والنفس، فالله يعطى، والنفس لا تُصدِّق أن الذي تقبله هو الله. وفي هذا الصراع، تتقوى النفس بالإيمان، وتظل تتقوى، إلى أن تجد نفسها غير قادرة على أن تستمر في إنكار أن العطية التي أُعطيت لها هي الله بذاته.

✠ إن النشوة والسرور هما لنفس تجد مسرتها في العطية بدلاً من

أن ترفضها، ثم تتجاوزها لتصل بها نحو الله.

✠ وما هو أبعد من الانجذاب الإلهي الروحي هو أن لا يسمح الإنسان لنفسه بالبعد عن الله بل يضبط نفسه فوق كل شئ، والله سوف يكافئ عن كل شئ بمسرة كثيرة وبكرم كثير، عن كل ما قدمته النفس لأجله. لدرجة أنه (أي الأخ لورنس) أخفي في بعض الأوقات عن الله ما استطاع عمله لأجل محبته حتى لا يُكافأ عوضاً عنه. وبعدم نواله أي عائد عن عمله، فإنه يتذوق فرحة عمل شئ ما لأجل الله، ولأجل الله فقط.

✠ لقد عانى ألماً نفسياً شنيعاً مبرحاً حين ظن أنه بكل تأكيد هالك لا محالة، ولم يكن أحد من الناس في العالم بقادر أن ينزع منه هذا الاقتناع. ولكنه أجاب على نفسه بهذه الطريقة: أنا صرت راهباً لأجل حب الله. لقد سعيت لأن أعيش لأجله فقط، وسواء هلكت أو خلصت فإن رغبتي هي أن أستمر في الحياة فقط لأجل حب الله، وأني على الأقل سوف أحيا هكذا إلى ساعة الموت، وسوف أعمل كل ما في وسعى لكي أحبه .

✠ هذا الألم النفسي دام أربع سنوات تألم خلالها كثيراً. ومنذ ذلك الوقت صار لا يقلق سواء من جهة الفردوس أو الجحيم وصارت حياته في فرح لا ينقطع بهذه الحرية. وقد وضع خطاياه

بينه وبين الله، وكأنها تحدثه أنه لا يستحق أياً من عطاياه. ولكن هذا لم يمنع الله أن يغدق عليه من هذه النعم، وأحياناً كان الله يأخذه كمن يمسك بيده ويوقفه أمام القضاء السمائى ليستعرض الضعف الذي كان الله بسببه يُسرُّ بأن يغدق عليه نعمته.

✟ كان يقول إننا نحتاج في البداية لقليل من المثابرة ليكون لنا عادة الحديث الدائم مع الله ونسبة كل الأفعال له. وبقليل من الاهتمام يشعر الإنسان بأنه مدفوع من محبته بدون أي اضطراب. وهو يتوقع أنه بعد الأوقات السلامية التي أعطاها له الله، أن الحال ستغير وسيدخل في اضطرابات ومعاناة، ولكنه لم يكن يضطرب لهذا، عالماً تماماً أنه طالما لا يستطيع شيئاً من ذاته، فالله لن يقصر عن أن يعطيه القوة ليتحملها.

✟ وعندما يعقد العزم على ممارسة أية فضيلة فهو يخاطب الله قائلاً: "أنا لا أقدر أن أفعل هذا ما لم تساعدني لأفعله"، وفي الحال يُعطَى القوة ليفعلها بل وبأكثر من المطلوب.

✟ وعندما يقع في التقصير كان يقول: لن أفعل هذا ثانية، ويعترف بعجزه ويقول لله: "سوف لا أفعل أي شئ آخر إذا تركتني لنفسي، والأمر يرجع إليك أن تمنعني من السقوط وتعدِّل ما هو ليس حسناً فيَّ". وبعد ذلك لا يُقلق نفسه أبداً بشأن هذا الخطأ.

✟ يجب أن نعمل ببساطة مع الله ونتكلم بدالة معه دون كُلْفة ونسأله أن يساعدنا في كل الظروف التي تصادفنا، والله لن يتأخر عن أن يعطينا المعونة، كما اختبر هو بنفسه ذلك.

✟ لقد أُرسل إلى بلدة "بيرجندى" ليعمل في مخازن الخمر، وهى مهمة مؤلمة بالنسبة له إذ لم يكن كفؤاً للعمل لأنه كان أعرج ولا يقدر أن يتحرك في المركب إلا بأن يلف قدمه فوق البراميل، ومع ذلك لم يقلق نفسه بسبب هذا ولا حتى من جهة شراء الخمر. وقد أخبر الله قائلاً: إنه شأنك. وبعد هذا وجد أن كل شئ يتم ويتم حسناً. وكان قد أُرسل إلى "أوفرجن" منذ سنة لمهمة شبيهة. وهو لا يستطيع أن يقول كيف أتم هذا العمل، فلم يكن يحسب أنه هو الذي أنجزه حسناً جداً.

✟ ونفس الشيء حدث في المطبخ، الذي كان يعتبر العمل فيه غير مستحب، وكان يحس بـــبُغض طبيعي قوي له، ولكنه درب نفسه ليعمل كل شئ من أجل محبة الله وأن يصلى في كل فرصة طالباً من النعمة أن تعمل له عمله. وقد وجد هذا سهلاً جداً خلال الخمس عشرة سنة التي قضاها هناك. وفي الوقت الذي كان يعمل فيه في محل تصليح الأحذية كان سعيداً جداً هناك، ولكنه أيضاً كان مستعداً لأن يترك هذا العمل مثل غيره. ودائماً

كان يُسرُّ أن يؤدي الأمور الصغيرة من أجل حب الله.

✟ إن وقت الصلاة عنده لا يختلف كثيراً عن أي وقت آخر. لقد كان يراعى مواعيد اعتكافه حينما يأمره أبوه الروحي بذلك، لكنه لم يكن يطلبها ولا يسأل من أجلها، لأن أكثر الأعمال ضرورة لم تكن تشغله عن الله.

✟ كان يعرف أنه في كل عمل هو يحب الله مجاهداً في الالتزام بواجباته، لذلك فهو لا يحتاج إلى مرشد، ولكن بالتأكيد يحتاج لأب اعتراف ليأخذ حِلاً عن جميع الأخطاء التي هو مذنب فيها، والتي هو منتبه جداً لها، ولكن دون أن ينـــزعج، إنه سوف يعترف بها لله ولا يترك لنفسه حجة أو تبريراً يعذر به نفسه. ثم بعد ذلك كان يرجع في سلام لانشغاله العادي في حب الله وعبادته.

✟ إنه لم يستشر أحداً في أتعابه، ولكن بنور الإيمان كان يعلم أن الله وحده حاضر معه، وهو كان مكتفياً بالحديث معه وحده، فكان يحس أنه أصبح مستعداً ليفقد كل شئ حباً في الله الذي معه كان هانئاً قانعاً.

✟ الأفكار تفسد كل شيء. وكل شر يبدأ من الفكر، ولابد

أن نهتم بأن نطرحها جانباً بمجرد أن نكتشف عدم أهميتها في الوقت الحاضر أو عدم فائدتها في خلاصنا، ثم نعيد اتصالنا بالله، وفي هذا يكمن كل صلاح. إنه يقضى كل أوقات الصلاة في هذه التمهيدات بتنحية هذه الأفكار جانباً ثم سرعان ما تعود إليه مرة أخرى . إنه لم يستطع أن يراعي بدقة مواعيد الصلاة بحسب القانون مثل الآخرين، ولكنه مع ذلك اعتاد في البداية استخدام صلوات التلاوة (أي صلوات الساعات) لبعض الوقت، ثم انتهت هذه العادة وهو لا يعلم لماذا.

✟ لقد طلب أن يبقى دائماً تحت الاختبار (أي كمبتدئ) غير مُصدّق أن بإمكان أحد أن يقبله كراهب، ولم يكن يستطيع تصور أنه أمضى سنتين في الدير، ولم يكن قوياً لدرجة أن يسأل الله أن يعمل أعمال التوبة ولا طلبها، ولكنه علم أنه يستحقها بالفعل وأن الله عندما يرسلها إليه فسوف يعطيه النعمة ليحتملها. وكل أعمال التوبة والجهادات الجسدية تخدم الإنسان ليتقدم نحو الاتحاد بالله من خلال الحب، وبعد التأمل الشديد في هذا اقتنع أن أقصر طريق يؤدى مباشرة للاتحاد بالله هو الممارسة المستمرة للحب وعمل كل شئ من أجل حب الله.

✟ فرق عظيم يجب أن يكون بين أعمال الذهن وتلك التي من

الإرادة (الفعل): الأولى قليلة الأهمية، والثانية هي كل شئ. كل ما يجب أن نصنعه هو أن نحب ونكون سعداءَ في الله. وعلى الرغم من أنه يجب أن نكمل كل الأفعال الممكنة للتوبة، ولكن إن كانت بلا حب فلن نستطيع أن تمحو ولا خطية واحدة.

✞ يجب أن نتوقع المغفرة بدون اضطراب، تلك التي تأتى علينا من استحقاق دم يسوع المسيح، مجتهدين فقط لنحبه من كل قلوبنا، ويبدو أن الله يختار أعظم الخطاة ليهبهم أعظم النعم، أكثر جداً من الذين يقيمون في الطهارة، وذلك ليُظهر غنى رحمته.

✞ إنه لم يعطِ فكره لا للموت ولا لخطاياه ولا للفردوس ولا للجحيم، ولكن فقط ليعمل الأعمال الصغيرة من أجل حب الله. إنه لا يقدر على إتيان الأعمال العظيمة، فإن فعلها إنما يكون ذلك قد وُضع عليه بناءً على مشيئة الله، ولهذا فهو لم يكن يهتم. وعلى الرغم من أنه عانى في حياته الجسدية فهذا يُعتبر لاشيء بالمقارنة مع ما تعرَّض له في حياته الروحية أو ما لاقاه من الأفراح العظيمة. لهذا فهو لا يهتم بشيء، ولا يخاف من شئ، ولا يسأل عن شئ، إلاّ أن لا يُغضب الله.

✞ أخبرني أنه كان لديه عدة شكوك ولهذا كان يقول: عندما أشعر بأنني أخطأت، لا أنكر هذا. ويقول: هذه هي طريقتي:

لقد عملت كل ما في وسعي أن أعمله، فإذا لم أفشل فإني أُعطى الشكر الواجب لله وأعترف بأن النجاح من عنده.

٢٨ سبتمبر ١٦٦٦

الحديث الثالث

✝ أخبرني أن أساس الحياة الروحية عنده هو فكر سام وإدراك عن الله بالإيمان. وحالما استوعب هذا الفكر بقوة، لَمْ يَعُدْ له اهتمام آخر سوى أن يلقى جانباً من البداية كل فكر آخر، حتى يعمل كل ما يعمله لأجل محبة الله. وإذا حدث أن مرَّ وقت طويل دون أن يتفكر في الله، لم يكن يضايق نفسه، ولكن بعد الاعتراف لله ببؤسه ، يعود إليه بكل ثقة، إذ يشعر بأن هذا البؤس يكمن في أنه نسي الله.

✝ الثقة التي لنا في الله تمجّده جداً، وتجتذب لنا نعماً عظيمة. إنه مستحيل ليس فقط أن الله يخدعنا، ولكن أيضاً مستحيل أن يترك طويلاً للألم نفساً استسلمت له تماماً، وعزمت أن تحتمل كل شيء لأجله.

✝ إنه يكون قد بلغ المُنى حينما لا يفكر إلا في الله وحده. فإذا ثارت أية تجربة أو بدا شيء آخر، فإنه يشعر بقدومها، واختبر المعونة السريعة من الله، وأحياناً يترك الله التجربة تأتي، ثم في اللحظة المناسبة يطلب هو الله، فتتبدد في الحال.

✝ وبنفس الخبرة السابقة، عندما يكون لديه عمل عادى ليعمله، فهو لا يشغل باله به مقدماً، ولكن عندما يأتي وقت العمل فإنه يجد في الله - كما في مرآة واضحة - كل ما هو مطلوب أن يفعله في هذه اللحظة الحاضرة. ولقد اشتغل بعض الوقت بهذه الطريقة غير مُستَـبِـق الأتعاب. لأنه مقابِـل اختبار معونة الله السريعة في حياته، كرّس كل بصيرته لمواجهة هذه الأتعاب.

✝ لم يكن يحتفظ في عقله بذكرى الأشياء التي عملها بل أعطى اهتماماً بسيطاً لها أثناء العمل، فعندما يقوم من المائدة لا يعلم ماذا أكل!! ولكن تبعاً لنظرته البسيطة فقد عمل كل شئ لأجل حب الله معطياً لله الشكر الواجب لأنه يقود حياته، ولأنه يعمل أعمالاً أخرى بلا عدد بكل بساطة ولكن في أسلوب يحفظه ثانيةً في الوجود في حضرة الله المحب له.

✝ عندما تـشغله أية ظروف خارجية عن التفكير في الله، فيحدث أن يأتيه من الله ما يُذكّره ويأسر نفسه ويهبه إحساساً أقوى بالله، يدفئه ويُشعل نفسه أحياناً بقوة لدرجة أنه يصرخ عالياً، يغنى أو يرقص كأنه مجنون، إنه يشعر بأنه واحد مع الله أثناء أعماله العادية أكثر مما عندما يعود للأنشطة الروحية، التي عندما ينتهي منها ليرجع إلى أعماله العادية يشعر بجفاف كثير.

✞ لقد توقع على مدى الزمن بعض الأحزان الشديدة في جسده أو ذهنه، ولكن أسوأ ما يمكن أن يحدث له أن يفقد الإحساس بالله الذي اعتاده طويلاً، ولكن محبة الله الرحيم تؤكد له أنه لن يفقد تماماً شركته مع الله وأنه سيعطيه القوة ليحتمل هذا الشر إذا سمح الله أن يصيبه.

✞ مع هذا الشعور لم يَخَفْ من شئ، ولم تكن به حاجة أن يستشير أي أحد عن نفسه، وعندما شعر بهذه الرغبة في الاستشارة ازداد ارتباكه. ولم يكن عنده أي مانع أن يموت أو يهلك لأجل محبة الله. الشركة الكاملة مع الله هي الطريق الأكيد، وفيه من النور الدائم ما يسهل السير فيه.

✞ في البداية يكون الاحتياج هو أن نعمل بإيمان ونتخلى عن أنفسنا ولكن بعد ذلك لا يبقى إلا المسرات المطلقة. في المصاعب يجب أن يتجه الإنسان للمسيح يسوع ويسأل نعمته وبعد ذلك كل شئ يصير سهلاً. وقد يحدث أن يرتبط الإنسان بأعمال التوبة والعبادات الخاصة تاركاً المحبة التي هي نهاية كل شئ. هذا واضح ونراه فيما يفعله الناس، وهذا هو سبب ضعف وجمود الفضيلة، أن نذهب لله فهذا لا يحتاج إلى مهارة أو معلومات. ولكن المطلوب فقط قلب مصمم على أن يتجه نحوه ومن أجله وأن يحبه، ويحبه هو فقط.

الحديث الرابع

✞ كثيراً ما تكلم معي الأخ لورنس بحرارة شديدة وبصراحة عن طريقته في الاقتراب من الله. وقد أخذت منه بعض الملاحظات. أخبرني أن الأمر يحتاج إلى عمل واحد متقن هو جحد كل شيء نعتز به، طالما هو لا يؤدى إلى الله، ذلك لكي نعوِّد أنفسنا على حديث غير منقطع مع الله بدون تصنُّع ولا غموض.

✞ من الضروري أن نكتشف أن الله حاضر حضوراً شخصياً بيننا، لكي نتحول إليه في كل لحظة ونسأله المعونة، ولنتعرف على مشيئته في كل الأمور المشكوك فيها. ونعمل كل ما يبدو واضحاً لنا أنه يريده بطريقة حسنة، مقدمين له كل ما نعمل قبل أن نعمله، ونعطيه الشكر عندما نكمله. في هذه الشركة غير المنقطعة يصير الإنسان منشغلاً باستمرار بشكر وتمجيد ومحبة الله على أفعال محبته الرحيمة اللانهائية وكماله المطلق.

✞ يجب أن نلتمس نعمته منه في ثقة كاملة، دون النظر إلى ما المفكر فيه، مُتَّكلين فقط على استحقاقات إلهنا اللانهائية. والله لن يتأخر أن يقدم لنا نعمته في كل مناسبة. لقد أدرك هذا جداً

وقال: إنه لم يكن يخفق إلا إذا ابتعد عن الشركة مع الله أو نسي أن يسأله المعونة.

✞ عندما نكون في حالة شك، فإن الله لن يفشل أن يعطينا نوراً عندما لا يكون لدينا أي تدبير آخر سوى أن نُسرَّه ونعمل كل شئ لأجله، إن تكريسنا لا يعتمد على تغيير أعمالنا، لكن في أن نعمل لأجل الله ما نعمله عادة لأنفسنا. من المحزن أن نرى عدداً غير قليل من الناس أقدموا على بعض الأعمال الخاصة وأَدُّوها بعدم إتقان نتيجة لإنشغالاتهم البشرية العديدة، وبهذا أخطأوا في الوسيلة التي تبلغهم إلى الغاية. ولقد اكتشف أن الوسيلة الفُضْلى للاقتراب من الله هي من خلال المهمات العادية حيث هناك تكمن الطاعة لأجل الله، مُطهِّرين هذه الأعمال من كل قوامٍ بشرى، ومُكمّـــلينها كلها لأجل محبة الله.

✞ وقال أيضاً إنه خداع شديد للنفس أن يقتنع الإنسان أن وقت الصلاة مختلف عن أي وقت آخر. إننا مُطالبون بأن نكون واحداً مع الله سواء في أدائنا وقت الأشغال أو في وقت الصلاة بأوقاتها الخاصة. وصلاته ببساطة هي الاحساس بالوجود في حضرة الله، ونفسه لا تدرك في هذا كله إلا الحب والحب فقط. ولكن بعيداً عن هذه الأوقات لم يكتشف أي اختلاف إلا نادراً، محتفظاً

بنفسه دائماً قرب الله، يباركه ويمجده بكل قواه، عابراً حياته في فرح لا ينقطع، مؤمِّلاً أن الله سوف يسمح له ببعض الألم عندما يتقوى بالروح.

✞ ويجب فوق كل شيء أن نستأمن أنفسنا في يد الله ونسلِّم أنفسنا له وحده، عالمين أن الله لن يخدعنا.

✞ لا يجب أن نملَّ من عمل أشياء صغيرة لأجل حب الله، الذي لا ينظر لعظمة الفعل ولكن للحب المعمول به. وبعض الفشل في البداية لا يجب أن يُفزعنا، لأنه في النهاية تأتى العادة، والعادة تولِّد الفعل بدون تفكيرنا فيه، ومعه فرح مذهل.

✞ الإيمان والرجاء والمحبة يجب تغذيتهم لنصبح مكرَّسين كلياً لارادة الله. وكل ما عدا ذلك ليس مهماً.

✞ يجب أن نتوقف هناك وكأننا على جسر، لكي نعبر به سريعاً في طريق التخلي وإنكار الذات، وأما الهدف النهائي فهو المحبة.

✞ كل الأشياء ممكنة لمن يؤمن، وأكثر إمكانية لمن يترجى، وأكثر بكثير من ممكنة لمن يمارس ويستمر في ممارسة هذه الفضائل الثلاث.

✞ إن الهدف الذي نسعى إليه ونضعه في حياتنا أمام أنفسنا هو أن نصير عابدين لله بأكبر إمكانية كاملة في الأرض، كما نرجو

ذلك خلال أبديتنا.

✠ عندما ندخل الحياة الروحية يجب أن نعطى اعتباراً أساسياً لنعرف تماماً مَنْ نحن، حينئذ سنجد أنفسنا مستحقين لكل خزي، وغير مستحقين لأن يُطلَق علينا اسم المسيح، ومُعرَّضين لكل أنواع الضغوط ولعدد بلا حصر من الأحداث المسيئة التي تجعلنا نضطرب والتي تؤثر في صحتنا وأمزجتنا وتقلُّب أوضاعنا في الداخل والخارج. والخلاصة: الله يجعلنا نتضع بشتى التجارب والمكابدات داخلياً وخارجياً. هل بعد كل هذا نتعجب إذا وقعت علينا في مجتمعنا تجارب أو ضيقات ومعاكسات ومتناقضات؟ على العكس يجب أن نخضع لها ونتحملها طالما أن هذا يُسرُّ الله، باعتبار أنها أمور تحدث لخيرنا.

✠ كلما كان طموح النفس إلى الكمال عظيماً، كلما كان الاعتماد بالأكثر على النعمة.

الجزء الثاني

رسائل الأخ لورانس

وتغطي فترة تمتد إلى ٩ سنوات تقريباً

تمهيد

نصف الرسائل مؤرخة خلال ٩ سنوات، وست رسائل من سنتين خلال سنتين قبل وفاته في فبراير ١٦٩١، وأربع منها في الشهور الأربعة الأخيرة من حياته، واثنتان في الشهر الأخير.

واضح أن بعضها رسائل كاملة ببداية ونهاية، وأخرى تبدأ في نقطة تعتبر واضحة، وبعضها اعترف الناسخ بحذف تفاصيل خاصة منها.

لا يوجد فرق ملحوظ بين "لورنس" الأحاديث و"لورنس" الرسائل، بعد فترة طويلة من حياته، لأنه كان مستمراً في الرسالة العملية التي عليه تعليمها للآخرين، وليس فيها من جديد سوى بعض النفور القليل من الطب البشرى الذي ظهر في خطاباته الأخيرة لراهبة متألمة، هذا الذي من الممكن أن يشاركه فيه أي شخص ينظر بنفس النظرة إلى العلاج بالصدمات وعلم الأدوية في ذاك العصر (القرن السابع عشر)، مثل العلاج الطبيعي الذي تحمّله الملك لويس نفسه على أيدي الأطباء الملكيين في أيامه الأخيرة الأليمة.

وخسارة عظيمة أن مراسلات لورنس لم تحتفظ لنا ولم توفر

مزيداً من الأمثلة من متعلقاته الأدبية، بالرغم من تأكدنا أن بعض هذه المراسلات ربما تكون قد شرحت التوجيهات الصارمة الواردة في الرسالة الثانية عشرة.

إلا أننا نجد في هذه الرسائل صورة للورنس الراهب **البسيط، بدون رتوش**، الصريح، الرتيب قليلاً، المهتم جداً بلغته المميزة، والتي يبدو فيها لمسة خفيفة من الأسلوب غير المتكلَّف الذي هو سمة أفضل كتابات عصره (القرن السابع عشر). وفي النهاية لقد كان لورنس مريضاً، وكلماته الأخيرة كانت عبارة عن صلاة، وسرعان ما استُجيبت.

الرسالة الأولى

✠ لقد انتهزت هذه الفرصة لأُشركك في أفكار أحد الأخوة في جماعتنا عن التأثيرات الباهرة والمعونة المستمرة التي نالها من ممارسة اختبار الوجود في حضرة الله، ليتنا نستفيد سوياً منها.

✠ ستعرف أن اهتمامه الرئيسي على مدى الأربعين السنة التي قضاها في رهبنته كانت أن يوجَد دائماً في حضرة الله، وأن لا يعمل شيئاً ولا يقول شيئاً ولا يفكر في شيء من الممكن ألا يُسرَّ الله، وبدون أن يشغل عقله بأي أمر آخر إلا الحب الصافي لله، الحب الذي يستحق أكثر من هذا بما لا يُقاس. وفي الوقت الحالي، تعوّد على هذا الوجود في حضرة الله حتى إنه نال بسببه معونة مستمرة في كل مناسبة. وعلى مدى الثلاثين سنة الأخيرة انتعشت نفسه بأفراح متواصلة، كانت تجتاح نفسه بقوة إلى الدرجة التي كان يحتاج فيها إلى ضبطها ومنْعِها من الظهور للآخرين.

✠ ولكن حينما كان أحياناً يتغيب قليلاً عن هذا الوجود في حضرة الله، كان الله في الحال يجعله ينتبه في ذاته لهذا التغيُّب

ليردّه إليه ثانية. هذه الخبرة غالباً ما كانت تحدث له أثناء أشغاله العادية. وكانت استجابته لله عبارة عن طاعة فورية لهذه النداءات الباطنية، برفع قلبه أو بنظرة حلوة محببة أو ببعض الكلمات التي يكتشفها الحب في هذه اللقاءات، كأن يقول لله: "إلهي هأنذا.. كلي لك.. ربي اجعلني حسب قلبك". وحينئذ يختبر بالحقيقة أن الله إله المحبة مُكتفٍ بهذه الكلمات فيعود إلى راحته ويستقر في عمق أعماق نفسه. هذا الوعي بهذه الأمور جعله منتبهاً جداً أن الله مستقر في العمق العميق من كيانه حتى أنه لا ينتابه أي شك في هذا مهما فعل هو ومهما حدث له.

✞ أُحكُمْ من هذا، أيّ اكتفاء وأيّ رضاء يتمتع به (هذا الأخ) وهو يعي في نفسه هذا الكنـــز العظيم في داخله. إنه لم يَعُد يضطرب ثانية كي يبحث عنه، ولم يعد يقلق حتى يجده. إنه حر أن يأخذ منه كما يريد.

✞ إنه يأسف لعمى بصيرتنا، ودائماً يشكو أننا نستحق الرثاء لاكتفائنا بالقليل جداً. ويقول: الله لديه كنوز لانهائية يعطيها لنا، ويكفينا لحظة إحساس بأننا مُكرّسون له. نحن عميان لأننا نقيّد يد الله عن العطاء، ونوقف انسكاب غنى نعمته.

✞ عندما يجد الله نفساً مملوءة بإيمان حي، فإنه يسكب فيها نعمة

فوق نعمة، كتيار متدفق يتحول عن اتجاهه العادي، ويجد مجاري جديدة، فيتدفق فيها بسعة وقوة وبوفرة. نعم، نحن غالباً ما نوقف هذا السيل الجارف بقليل الانتباه الذي نعطيه له. ليتنا لا نعطله فيما بعد، ليتنا نرجع إلى داخل أنفسنا، ونزيل هذا الحاجز، ونجعل الطريق مفتوحاً أمام النعمة، ونعوض وقتاً ضاع هباءً. لأنه ربما لم يعد لدينا إلا الوقت القليل للحياة، فالموت ليس ببعيد عنا. ليتنا ننتبه لهذا، فنحن نموت مرة واحدة.

✞ وأقول ثانية ليتنا نرجع لأنفسنا. فالوقت يعبر، ليس هناك مجال للتأجيل، فكل إنسان مسئول عن نفسه. أنا أعتقد أنك تأخذ في اعتبارك هذه المعايير الفعالة حتى لا تؤخذ على حين غرة. لهذا أنا أمدحك، فهذه هي الحياة. ومع ذلك لابد أن نمضي قُدُماً إلى الأمام، لأنه في الحياة الروحية عدم التقدم للأمام معناه الرجوع للوراء. إن الذين عندهم الذهن الذي من الروح القدس يسيرون قُدُماً حتى وهم نيام، وإذا كانت سفينة حياتنا الصغيرة لا زالت تعصف بها الرياح والأعاصير، فليتنا نوقظ السيد النائم فيها، وهو في الحال يهدئ البحر.

✞ لقد أخذتَ امتياز مشاركتك هذه الأفكار لتقارنها بما عندك أيضاً، وهذه سوف تعمل على أن تزيدها نوراً، وتُضرمها أكثر،

لئلا بسبب سوء الحظ (وليت الله لا يسمح) أن تكون آخذة في الخفوت ولو قليلاً.

✟ ليتنا نذكِّر أنفسنا مرة أخرى، أنا وأنت كلينا، بغيرتنا الأولى وننتفع من قدوة وأفكار هذا الراهب، غير المعروف لدى العالم إلا قليلاً، لكنه معروف لدى الله الذي يحنو عليه بشدة.

الرسالة الثانية

✟ لقد استلمت اليوم كتابين ورسالة من الأخ الذي يستعد لتقديم نذوره والذي يسأل فيها صلوات جماعتكم المقدسة من أجل هذا الغرض، وكذا صلواتك أنتَ بالأكثر. إنها تؤكد في أن له ثقة عظيمة جداً وصادقة فلا تُخيِّب رجاءه. اُطلب من الله أن يقدِّم ذبيحة حياته في نور محبته فقط، وبعزم صادق ليكون له وحده.

✟ سوف أرسل لك واحداً من هذه الكتب التي تتناول اختبار الوجود في حضرة الله، والذي فيه يكمن بحسب ظني كل الحياة الروحية، والذي كما يبدو لي أن الممارسة الحقيقية لهذا الاختبار سرعان ما تجعل الإنسان إِنساناً روحياً.

✟ لكي نصل لهذه الغاية لابد أن يكون القلب خالياً من كل شئ آخر، لأن الله يرغب أن يكون هو المالك الوحيد لقلبك. ولما كان لا يمكن لله أن يكون هكذا المالك الوحيد للقلب بدون تفريغه من كل شئ ليس هو الله نفسه، لذلك فهو لا يستطيع أن يعمل فيه أو يتمم مشيئته بدون هذا التفريغ.

✟ ليس هناك في العالم طريقة للحياة أحلى ولا أبهج من الحديث

المستمر مع الله. والذين يمارسون هذا ويستطعمونه هم وحدهم الذين يفهمون ذلك. ولكني لا أنصحك أن تمارس الاختبار انطلاقاً من هذا الدافع، لأن ليست التعزية الروحية هي التي نرنو إليها من وراء هذا الاختبار، ولكن ليتنا نعمل هذا على أساس مبدأ الحب، ولأن الله يريد ذلك.

✟ لو كنت واعظاً فلن أعظ بشيء آخر إلاّ باختبار الوجود في حضرة الله. ولو كنت مرشداً لكنت أوصي به كل أحد، بقدر ما أؤمن بقوة أنه ضروري وأيضا سهل.

✟ آه، لو علمنا احتياجنا للنعمة وعطية الله، لما فقدنا رؤيته (أي هذا الوجود في حضرة الله) ولا حتى لثانية واحدة. صدِّقني، ومن هذه اللحظة قرِّرْ بعزم مقدس قوي ألا تحِد عنه بإرادتك لحظة واحدة، وأن تعيش البقية الباقية من حياتك في هذا الحضور المقدس، محصوراً في محبته، وهو أيضاً سيعطيك تعزيات السماء والأرض. هلم إلى العمل! فإذا فعلتَ هذا كما يجب، فتأكد أنك سترى النتائج حالاً. وسوف أساعدك بصلواتي رغم ضعفها. أقدم نفسي لك ولكل من في جماعتكم المقدسة.

الرسالة الثالثة

✟ لا أفهم كيف يمكن أن يعيش إنسان في جماعة عابدة بدون ممارسة اختبار الوجود في حضرة الله. من جهتي فأنا أحفظ نفسي معه، في عمق نفسي ومركز حياتي، بقدر ما أستطيع. وعندما أكون معه هكذا فإني لا أخاف شيئاً. وأقل انحراف هو جحيم بالنسبة لي. هذا التدريب لن يؤذي الجسد، ولكنه من وقت لآخر وبكثرة مرتبط بأن يجرد هذا الجسد من بعض التعزيات الصغيرة، حتى البريئة منها والمُباحة. لأن الله لا يسمح للنفس التي ترغب أن تكون بجملتها له، أن تتقبل تنعُّـمات أخرى إلاَّ معه، والتي تفوق المعقول.

✟ لأجل هذا لا أقول إن الإنسان يجب أن لا يعانى إزعاجاً غير مطلوب، ولكن يجب أن نخدم الله في حرية مقدسة، وأن نعمل عملنا بإيمان بدون ضيق ولا اضطراب، داعين نفوسنا بهدوء وبرفق لترجع إلى الله بمجرد أن نجدها قد ابتعدت عنه. إنه احتياج لابد منه، لأن نضع كل ثقتنا في الله ونحرر أنفسنا من كل الاهتمامات الأخرى، وحتى من بعض العبادات الشخصية،

بالرغم من صلاحها، والتي نفرضها أحياناً على نفوسنا بدون رويّـــة.

✝ لأن هذه العبادات في النهاية ليست إلا وسائل لنصل بها إلى الغاية. ولهذا فعندما نمارس اختبار الوجود في حضرة الله الذي هو غايتنا، فمن غير المُجدي أن نرجع للوسائل عندما نصل إلى الهدف. نستطيع أن نستمر معه في شركة حب، إما بأن نكون ثابتين في حضوره المقدس بفعل عبادة أو تسبيح أو حمد أو تمجيد، أو فلنُـــقدِّم النفس، أو فلنرفع الشكر له، وبكل الطرق سوف تعرف أرواحنا كيف تتصرف في حضرته المقدسة.

✝ لا تتخاذل بسبب النفور الذي ستشعر به في طبيعتك البشرية. فيجب أن تقارع نفسك. ففي البداية كثيراً ما سنشعر أن أي ممارسة لاختبار الوجود في حضرة الله وقت ضائع، ولكن يجب أن نستمر، ونصمم أن نصمد هنا حتى الموت رغم كل الصعوبات.

باريس ٣ نوفمبر ١٦٨٥

الرسالة الرابعة

✝ على المائدة وفي وسط أحاديثك، ارفع قلبك مراراً نحوه، إن أقل تذكار منك سوف يُسرُّه. لا حاجة في مثل هذه الأوقات أن نصرخ عالياً. إنه أقرب إلينا بأكثر مما نفتكر.

✝ لسنا محتاجين أن نكون دائماً داخل كنيسة لنبقى معه. نستطيع أن نصنع من قلبنا كنيسة، وإليها نستطيع أن نلجأ من حين إلى حين لنأخذ شركة حب رقيقة متضعة مع الله. كل واحد يستطيع أن يعقد هذه المحادثات العادية مع الله، البعض بكثرة والبعض أقل، إنه يعرف قدراتنا. فقط فلنبدأ. ربما هو ينتظر منا أن نتخذ قراراً بعزم من كل قلبنا. تشجع! فما تبقّى لنا إلاّ وقت قصير في الحياة، أنت تقترب من الرابعة والستين وأنا في الثمانين تقريباً. فلنعِش ونَمُت مع الله. الآلام ستكون حلوة ومُسرّة لنا عندما نكون معه، وبدونه أعظم المسرات ستكون عذاباً قاسياً. كُنْ مباركاً في كل شيء آمين

✝ عوِّد نفسك قليلاً قليلاً على أن تعبده، وأن تطلب نعمته، وأن تقدِّم له قلبك من وقت لآخر أثناء النهار، في خضم عملك

اليومي، وفي أي وقت تستطيع. لا تقيّد نفسك بقوانين أو بأشكال خاصة للعبادة. اعمل في إيمان بحب وباتضاع.

الرسالة الخامسة

✝ من حيث أني لم أجد أسلوبي في الحياة يتفق مع ما في الكتب، وبالرغم من أني لم أجد صعوبات في أسلوبي هذا، فلزيادة التأكيد أريد أن أعرف رأيك في حالتي الحاضرة.

✝ منذ أيام ليست بكثيرة، وفي حديث شخصي مع إنسان تقي، أشار لي إلى أن الحياة الروحية هي طريق النعمة، التي تبدأ بخوف الله، وتزداد بالرجاء في الحياة الأبدية وتبلغ كمالها في المحبة الطاهرة، وعلى مدى هذه السيرة هناك درجات مختلفة، حيث نبلغ هذا الكمال.

✝ أنا لم أتبع هذه الخطوات. بل على العكس، ولكن تحت أي إغراء؟ لست أعلم. هذه الخطوات ملأتني في البداية بالخوف. والنتيجة كانت أنه عندما دخلتُ الرهبنة، عقدتُ العزم أن أقدم نفسي كلياً لله ، ولأجل حبه جحدتُ كل شئ آخر سواه.

✝ خلال هذه السنوات، كان ما يشغلني في صلواتي عادة أفكار عن الموت، الدينونة، الجحيم، الفردوس، وخطاياي. وهكذا استمررتُ لعدة سنوات في أن أكرس نفسي، بكل اهتمام، وطيلة

النهار، وحتى أثناء عملي، لممارسة اختبار الوجود في حضرة الله الذي كنت أتطلع إليه على أنه دائماً قريب مني، حتى في أعماق قلبي. هذا أعطاني نظرة سامية عن الله وهي أن الإيمان وحده هو الذي يقدر أن يريحني تجاه هذا الأمر.

✠ وتدريجياً صرتُ أمارس هذا الاختبار أثناء صلواتي، وهذا وهبني باستمرار راحة وتعزية عظيمة. هذه هي الكيفية التي بدأتُ بها؟

✠ أريد أن أخبرك أنه خلال السنوات العشر الأولى عانيت كثيراً. فالخوف من فكرة أنني لستُ ملكاً لله كما أرغب، وخطاياي السالفة دائماً حاضرة أمام عينيَّ، وصلاح الله من نحوي، كل هذا كان مادة ومنبعاً لآلامي. أثناء كل هذا الوقت كنت أسقط كثيراً ثم أقوم في الحال على قدميَّ ثانية.

✠ لقد تراءى لي أن الناس والمنطق وحتى الله نفسه كانوا ضدي، أما الإيمان فهو وحده الذي كان معي.

✠ كنت أحياناً أتضايق أن كل هذا ينبع من افتراض مسبق أنني أعتقد أنني وصلت في الحال عند النقطة التي بلغها آخرون بالتعب، بينما في أوقات أخرى اعتقدت أنني أحكم على نفسي بجراءة أنه لا خلاص لي على الإطلاق.

✠ ولكن لما لم أعُدْ أفكر في أن أكمِّـــل مشوار حياتي في هذا الاضطراب والقلق (اللذين لم يُفقِدا بأي حال من ثقتي بالله بل بالعكس أدَّيا فقط إلى ازدياد إيماني) بل وجدتُ نفسي فجأة وقد تغيرتُ، وروحي التي كانت حتى ذلك الوقت لم تزل في ضيق دائم، اختبرتْ سلاماً داخلياً عميقاً، كما لو كانت في مركز ومكان راحتها. ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل أمام الله ببساطة وفي إيمان، باتضاع وحب، ووضعتُ على نفسي أن لا أعمل شيئاً آخر، ولا أن أقول شيئاً ولا أن أفكر في شيء من الممكن ألاَّ يُرضي الله. إنني أترجى أنه عندما أعمل كل ما في وسعي عمله، فهو سيعمل معي بحسب إرادته.

✠ لا أستطيع أن أُعبِّر لك عما يحدث في داخلي الآن. فما عُدت أشعر بضيق ولا بأدنى شك في حالتي. فما صار عندي من إرادة أخرى غير إرادة الله، التي أسعى لأتممها في كل شئ، والتي لها سلَّمتُ نفسي لدرجة أنني لا أرغب في أن ألتقط حتى قشة بدون أمره، وبدون أي دافع آخر سوى الحب الخالص له.

✠ لقد تخليت عن كل ما وضعته لنفسي من صور العبادة أو الصلوات التي ليست مفروضة، ولم أعُدْ أعمل شيئاً سوى أن أبقى في حضرته المقدسة، وهذا أفعله بانتباه بسيط وبتحُّول عينيَّ، صار

عادة ومحبّباً، نحوه. هذا هو ما أسميه الحضور الحقيقي لله، أو بتعبير أفضل، حديث سرّي لا ينتهي وبدون كلام بين النفس والله. إنه كثيراً ما يعطيني هذه المشاعر العميقة للرضا والفرح داخلياً (بل وخارجياً)، لدرجة أنني أجتهد أن أكبتها وأمنع مظاهرها المرئية، وأحيانا أُجْبَرَ أن أتصرف بطريقة صبيانية ما قد يُظهرني غبياً أكثر مما يُظهرني بمظهر العابد.

✠ حقاً، يا أبي الموقر، لا أستطيع بأي حال أن أتشكك بأن نفسي كانت مع الله هذه الأعوام الثلاثين الماضية. لقد حذفت أموراً كثيرة أخرى لم أذكرها لك هنا، لكي لا أُرهقك، وعلى الرغم من ذلك فأنا أظن أنه من المناسب أن أخبرك كيف أنظر إلى نفسي أمام الله الذي أعتبره أنه مَلِكي.

✠ أنا أعتبر نفسي أني أشقى جميع الناس، مُمزقاً بالأحزان، مليئاً بالفساد، مذنباً بكل أنواع الجرائم ضد مَلِكه. ولكن حالما لمست قلبي توبة حية، اعترفت بكل أفعالي الشريرة له، والتمست عفوه، وسلّمت نفسي بين يديه ليفعل بي كما يريد. هذا الملك إذ هو مملوء من الصلاح والرحمة وأبعد من أن يعاقبني، فهو يعانقني بمحبة، ويجعلني آكل على مائدته، ويخدمني بيديه نفسه، ويعطيني المفاتيح لكنوزه، ويعاملني كأني المعزّز عنده. إنه يتحدث معي

ويجد في رفقتي معه مسرة لا تنقطع وذلك بآلاف الوسائل. هو لا يتحدث عن مغفرته لي ومَحْوِه لأخطاء حياتي السابقة، رغم أني أتوسل إليه ليعمل معي حسب قلبه، وأن ينظر إلي نفسي كإنسان دائماً ضعيف وبائس ولكن متعزياً بالله بالأكثر. هذا هو كيف أفكر في نفسي وأنا في حضرته المقدسة.

✠ إن طريقتي المعتادة في هذا هي في الانتباه البسيط، في التحوُّل المعتاد المحبَّب لعينيَّ نحو الله، الذي أجد نفسي مرتبطة معه بسعادة وتكريم كبير أكثر من طفل فرحان متشبث بصدر أمه. وإذا تجرأت على استعمال هذا التعبير، فسوف أُسَرُّ بوصف هذه الحالة على أنها "صدر الله" أو "حضن الله"، وذلك بسبب السعادة التي تفوق الشرح التي أتذوقها وأختبرها هناك.

✠ فإذا حدث في وقت ما أن تحولت عنه بسبب شيء ضروري أو بسبب ضعفي، ففي الحال أرجع إليه عن طريق تنبيهات قلبي التي فيها من الحلاوة الداخلية ما يعجزني عن الشرح. إنني أتوسل إليك يا أبي الموقر أن تعتبر مقدار نقصي الكثير الذي تعلمه جيداً، أكثر من النعم العظيمة التي بها بارك الله نفسي، وأنا غير مستحق لها وغير شاكر له كما ينبغي.

✠ أما بالنسبة لساعات صلواتي القانونية، فهي استمرار في

نفس هذا الاختبار. وأحياناً أعتبر نفسي كقطعة من الحجر أمام النحَّات، والتي منها يصمم تمثالاً. وإذ أضع نفسي هكذا أمام الله، فإني أتوسل إليه ليرسم صورته الكاملة في نفسي، ويجعلني مثله تماماً.

✝ وفي أوقات أخرى، وبمجرد أن أستجمع نفسي، أشعر بأن روحي كلها ونفسي كلها قد ارتفعت، بدون تعب أو مجهود، واستقرت هكذا في الله كأنها في مركز ومقر راحتها.

✝ أنا أعلم أن بعض الناس يسمى هذه الحالة كسلاً أو خداعاً أو حباً للذات. وأنا أُسلِّم بأن فيها نوعاً من الكسل المقدس، وحب النفس المبارك، هذا إذا كانت النفس قادرة على هذا الاختبار، لأن النفس في حالة السكون هذه لا تعود تهتم بأعمالها في الماضي والتي كانت في وقت ما سنداً لها لكنها الآن صارت مؤذية لها وليست عوناً. لكنى لا أسمح أن يُطلَق عليها ''خداع''، لأن النفس التي تتمتع بالله هكذا، لا ترغب إلا فيه وحده فقط. فلو أنني في خداع، فعلى الله أن يُصلحه، حتى يعمل فيَّ إرادته. أنا أريده هو فقط، وأكون كلي له. ومع ذلك سوف ألتزم، إذ سمحت، أن تعلمني رأيك، لأنني أحترم قُدسك، ورأيك يهمني كثيراً.

الرسالة السادسة

✝ تُرى أية سعادة سنكون فيها، إذا استطعنا أن نجد الكنـز الذي تحدث عنه الإنجيل! وكلُّ ما عداه سيبدو لنا كلا شئ. ومن حيث أنه غير محدود، فكلما نتعمق كلما وجدنا ثروة أكثر. فلنبحث بلا توقف، إذن. ولا نكلّ إلى أن نجده.

✝ في النهاية، لا أعلم ماذا سيحدث لي. يبدو أن السلام والحب وراحة النفس تحلُّ عليَّ وأنا نائم. وإذا كنت قادراً على التألم فلن يكون عليَّ أن أفعل شيئاً آخر. أنا لا أعلم ما يهيئه الله لي. إني أعيش في هدوء لدرجة أنني لا أخاف شيئاً. وممَّ أخاف وأنا معه، وعنده أحفظ نفسي على قدر ما أستطيع. ليكن الله مباركاً من الكل آمين.

غير مؤرخ / غير كامل/ وبعض الأمور الشخصية حذفت عن طريق الشخص الذي جمع الرسائل..

الرسالة السابعة

✞ لنا إله صالح ويعرف ما نحتاجه. وأنا أعتقد أنه سوف يجوز بك إلى أقصى الضيقات. لكنه سيأتي في الوقت المناسب، وعندما لا تتوقع مجيئه، ترجّاه أكثر من أي وقت مضى. واشكره على النعم التي يُريها لك وعلى الأخص القوة والصبر من أجل الثبات والصبر اللذين يهبك إياهما في ضيقاتك، إنها علامة واضحة على عنايته التي عنده من نحوك، لذلك تعزّي فيه واشكره على كل شئ.

✞ إني أتعجب من أجل القوة والشجاعة اللتين للسيد (فلان). الله أعطاه نية صالحةً وإرادة حسنة، ولكن لا يزال فيه قليل من العالم وكثرة من الحداثة. أتمنى أن الضيق الذي أرسله الله له سيكون بمثابة دواء لخلاصه، وسيجعله يتحول إلى إنسانه الباطن. إنها فرصة لإقناعه بأن يضع كل ثقته في ذاك الذي يقف دائماً إلى جانبه. ليته يفكر فيه بقدر ما يستطيع وعلى الأخص عند المحن الصعبة.

✞ إن عملية رفع بسيط للقلب تكفي. وتذكار صغير له، وحركة عبادة من القلب، رغم أنها سريعة وسهمية، تُعتبر صلوات، ورغم

قِصَرها فهي مُسرة جداً لدى الله، وتحفظ الذين في ساحة الجهاد من أن يفقدوا شجاعتهم، بل وفي أكثر لحظات حياتهم خطورة تجعلهم شجعاناً. ليته يتذكر هذه الصلوات بكثرة على قدر ما يريد. وليته يعوِّد نفسه قليلاً قليلاً على هذا القانون البسيط والمقدس. لا أحد سيراه، ولا شئ أسهل من أن يكرر الإنسان في قلبه هذه العبادات البسيطة طيلة النهار. أوصِه من فضلك أن يتذكر الله، على قدر ما يستطيع، بالطريقة التي شرحتُها بكثرة. إنها طريقة ملائمة جداً وضرورية جداً لأي جندي يتعرض يومياً للأخطار من جهة حياته وأيضا لأخطار من جهة خلاصه. أرجو أن يساعده الله وكل أسرته، الذين أَبعث إليهم بتحياتي.

١٢ أكتوبر ١٦٨٨

الرسالة الثامنة

✝ أنت لا تخبرني عن أمر جديد. أنت لست الوحيد الذي اضطربتَ من أفكارك. عقلنا معتاد دائماً على الدوران، ولكن حيث أن الإرادة هي السيد على كل قوانا فسوف تستدعي العقل وتعيده لله غايته النهائية.

✝ العقل الذي لم يخضع في البداية للإرادة، عندما تنمو فيه بعض العادات الرديئة كالتشتت وعدم الانتباه، يكون من الصعب التغلب عليها إذ أنها تسحبنا رغماً عنا للأمور الأرضية.

✝ أعتقد أن العلاج لهذا هو أن نعترف بكل سقطاتنا ونتضع بأنفسنا أمام الله. أنا لا أنصحك بالكلام الكثير في الصلاة لأن الكلام الكثير غالباً ما يعطي فرصة للشرود. أمسكْ بنفسك أمام الله مثل شخص فقير أعقد أصم أو مشلول على بوابة رجل غنى. أعطِ انتباهك أن تحفظ عقلك في حضرة الله. وإذا حدث أن شرد وابتعد عن الله أحياناً، فلا تضطرب، فإن اضطراب العقل يساعد بالأكثر على أن يشتِّت أكثر مما يستجمع العقل. ولكن على الإرادة أن تسترجع العقل بهدوء. إذا استمررت في هذا، فالله

سوف يتراءف عليك.

طريقة واحدة لتسترجع العقل بسهولة لله أثناء وقت الصلاة وتحفظه بالأكثر في راحة، وهي ألا نسمح له أبداً أن يسرح أثناء النهار. لابد أن نحفظه بدقة في الوجود في حضرة الله، فإذا اعتاد أن يتذكره من وقت لآخر، فهذا سيسهل له أن يبقى هادئاً أثناء صلواتك أو على الأقل أن تستدعيه من شروده.

غير مؤرخ

الرسالة التاسعة

✞ نحن لا نستطيع أن نصبح قديسين في لحظة. يجب أن يساعد بعضنا الآخر بالنصيحة وبالأكثر بالمثال الصالح..

✞ هلم نضع في عقلنا أن عملنا الوحيد في هذه الحياة أن نُسرَّ الله. ألا يكون كل شئ آخر جهالة وباطلاً؟ لقد عشنا أكثر من أربعين سنة في الطريق الروحي. هل قضيناها في أن نحب ونخدم الله الذي في رحمته دعانا إلى هذا الطريق ولأجل هذا الغرض؟ إنني مملوء ارتباكاً وخجلاً، حينما، من ناحية، أتأمل في النعم العظيمة التي منحها لي الله ولا يكفّ عن إسباغها عليَّ، بينما من ناحية أخرى حينما أتأمل في سوء استخدامي لهذه النعم وفي تقدمي البطيء في طريق الكمال. ومن حيث أن الله برحمته لا يزال يعطينا وقتاً بعد، فيا ليتنا نبدأ بغيرة، ونعوِّض الوقت المفقود، ونرجع بكل ثقة لهذا الأب المحب الحنون الذي هو دائماً مستعد بمحبة ليقبلنا. ليتنا نجحد، ليتنا نجحد، ومن كل قلبنا، كل ما لا يخصه. إنه يستحق أكثر بما لا يقاس. ليتنا نفكر فيه بلا انقطاع. ليتنا نضع كل ثقتنا فيه. أنا لا أشك أننا سنختبر سريعاً المفاعيل

الكاملة لهذا التدريب، ونشعر بفيض النعمة التي بها نستطيع عمل كل شئ، وبدونها لا نستطيع إلا أن نخطئ.

✞ نحن لا نستطيع أن نتفادى الأخطار والعواقب الوخيمة التي تعجُّ بها هذه الحياة بدون المعونة الحقيقية والدائمة من الله. ليتنا نسأله إياها بلا توقف. لكن كيف نستطيع أن نسأله دون أن نكون معه؟ وكيف نكون معه دون التفكير الدائم فيه؟ وكيف نفكر فيه دائماً بدون تكوين العادة المقدسة لهذا الفعل؟ إنك ستخبرني أنني دائماً أقول لك نفس الشيء. هذا حقيقي، وأنا لا أعرف أفضل وأسهل وسيلة غير تلك. وحيث أنني لم أمارس سواها، لذلك فأنا أُبشِّر بها كل إنسان. لابد أن نعرف قبل أن نحب، ولكي نعرف الله لابد أن نفكر فيه. وعندما نحبه سوف نفكر فيه أكثر، لأن قلبنا يكون حيث يكون كنزنا أيضاً، ليتنا دائماً نفكر فيه ونفكر فيه حسناً.

٢٨ مارس ١٦٨٩

الرسالة العاشرة

✞ نحن لن نستطيع أن نكون في صداقة شديدة مع صديق صالح جداً وصادق ولن يتخلى عنا في هذا العالم ولا في الآتي. ولو أن (فلان) استطاع أن يستفيد من الخسارة التي لحقت به وأن يضع كل ثقته في الله، ففي الحال سوف يعطيه الله صديقاً آخر أكثر قوة وأكثر اهتماماً. إن الله يتعامل مع القلوب كما يشاء. ربما الشخص الذي فقده كان له علاقة شديدة جداً به. حقاً نحن ينبغي أن نحب أصدقاءنا، لكن بدون أن يتعدَّوا محبتنا لله التي يجب أن تكون لها الأولوية.

✞ تذكر أنني أصلي بما أحثُّك عليه وهو أن تفكر في الله بالليل والنهار، وفي كل أشغالك وفي كل واجباتك الروحية، وحتى في تسليتك. إنه دائماً بجانبك. لا تتأخر في أن تكون في الشركة معه. إنك تعتبر أنه من الوقاحة أن نُهمِل صديقاً زارك، فلماذا تترك الله وحده؟ فلا تــنسَه، إذن. فكِّر فيه كثيراً. واعبُدْه كل الوقت. عِشْ ومُتْ معه. هذا هو العمل المسيحي المحبوب، أو بمعنى آخر هذه هي دعوتنا. فإن لم نعرفها فلنتعلمها.

٢٩ أكتوبر ١٦٨٩

الرسالة الحادية عشرة

✞ أنا لا أسأل الله أن يُخرجك من أَتعابك، لكني لا أكف أبداً عن أن أسأله ليعطيك القوة والصبر لتتحملها مهما طالت، بحسب ما يراه هو صالحاً. تعزَّ في ذاك الذي يحفظك مُسمَّراً على الصليب معه، وهو سوف يحررك منها عندما يرى أن هذا هو الصواب.

✞ طوباهم الذين يتألمون لأجله. لهذا تعوَّد أن تتألم هكذا. اسأله القوة لأن تتألم بكل ما يريده الله أن تتألم به، وللمدى الذي يحكم هو بأنه نافع لك. العالم لا يتفهم هذه الحقائق، وأنا لا أتعجب من هذا. إنهم يتألمون كما يتألم أهل العالم، وليس كمسيحيين، إنهم ينظرون للمرض أنه ألم طبيعي، وليس على أنه استعلان لنعمة الله، وهذا يفسر لماذا لا يجدون في الأمراض إلا العداوة والقسوة من الطبيعة. وأما عند هؤلاء الذين ينظرون إلى الآلام وكأنها آتية من يديّ الله وكنتيجة لرحمته، وعلى أنها الوسائل التي يستخدمها الله لخلاصهم، فإنهم كثيراً ما يجدون فيها سعادة كبيرة وتعزية حقيقية.

✞ كم أود أن تؤمن بأن الله يكون أقرب إلينا في أوقات مرضنا وضعفنا أكثر مما عندما نكون متمتعين بالصحة الكاملة. لا تبحث

عن دواء سواه. وبحسب فهمي، الله يرغب في شفائنا وحده، ضع كل ثقتك فيه وسوف ترى النتائج سريعاً. نحن غالباً ما يتأخر شفاؤنا بسبب الثقة الأكبر التي نضعها في العلاج أكثر مما في الله. وبعض العلاج الذي تستخدمَه سوف يؤتي أثره فقط على قدر ما يسمح هو بذلك. عندما تأتي الآلام من الله، فالله وحده هو الذي يقدر على شفائها. إنه غالباً يتركنا نهباً لأمراض الجسد حتى يشفي تلك التي للروح. تعزَّ بالعلاج الأسمى الذي للأجساد والنفوس معاً.

✠ أنا أتوقع أنك ستجيب بأنني مرتاح جداً حتى أن آكل وأشرب على مائدة الرب. هذا صحيح لكن ألا تعتقد بأنه سوف يكون ضيق بسيط لأعظم مجرم في العالم يأكل على مائدة الملك ويُخدم بيديه دون أن يكون متأكداً من غفرانه؟ أنا أعتقد أنه سيشعر بألم عظيم، ولكنها الثقة في صلاح ملكه فقط هي التي يمكن أن تهدئه.

✠ إرضَ بالوضع الذي وضعك فيه الله. ومهما كنت ترى أنني سعيد، فأنا أحسدك. فالآلام والأتعاب سوف تكون لي فردوساً، ما دمتُ أتألم معه، والملذات مهما تعاظمت فستكون لي جحيماً إن تمتعت بها بدونه. وكل تعزيتي أن أتألم بأي شئ لأجل خاطره.

إنني على أُهبة الانطلاق لأرى الله. وأنا أقصد أن أقدم حساباً إليه، لأني إذا رأيت الله ولو للحظة واحدة، فكل آلامي سوف تحلو لي حتى لو استمرت لآخر العالم. وما يعزيني في هذه الحياة أنني أرى الله بالإيمان وأراه بطريقة تجعلني أقول: أنا لا أؤمن بعد، لكني أرى. لقد اختبرتُ ما علمني إياه بالإيمان. وعلى هذا التأكيد بممارسة الإيمان سوف أحيا وأموت معه. إمسكْ بالله دائماً. إنه الوحيد والأوحد الذي يريح آلامك.

١٧ نوفمبر ١٦٩٠

الرسالة الثانية عشرة

✝ حيث أنك ترغب بشدة أن أُشاركك الطريقة التي انتهجتُها لأصل لهذا الاختبار للحضور الإلهي، الذي فيه سُرَّ الله برحمته أن يضعني فيه، لا أستطيع أن أكتمك سرّاً أنني سمحت بتقديم نفسي لإلحاحاتك رغماً عني، لذلك والحالة هكذا فأرجو ألا تُظهر خطابي لأي أحد. فإذا علمت أنك فعلتَ هذا عن اضطرار، فإن، كل ما عندي من رغبة في كمالك سوف لا تشجعني. عن هذا الأمر يمكنني أن أقول:

✝ حيث إنني وجدت في كتب كثيرة طرقاً متعددة للاقتراب من الله، وممارسات مختلفة للطريق الروحي، فقد انتــهيتُ إلى أنها سوف تُعقِّدني فكرياً أكثر من أن تحقق سعيي وترشدني إلى الوسيلة لأكون كلِّي لله. هذا أدى بي إلى القرار أن أعطي كل شئ لأجل كل شئ. وهكذا بعد أن أعطيت نفسي كلياً لله، جحدتُ، لأجل محبته، كل ما ليس منه، وبدأت أعيش كما لو لم يكن في هذا العالم سوانا أنا وهو. وأحيانا أفكر في نفسي وأنا في حضرته أني فاعل شر فقير عند قدميّ قاضيه. وفي أوقات أخر

كنت أعتبره من كل قلبي أنه أبي وإلهي. وهكذا عبدتُه بكل ما أستطيع محتفظاً بروحي في حضرته المقدسة، مستعيداً لذكره في عقلي كلما وجدت نفسي قد بعدت عنه.

✝ ولم أجد أدنى صعوبة في هذا الاختبار الذي أكملتُه رغم كل الصعوبات التي لقيتُها دون التركيز أو القلق على المرات التي بعدتُ فيها عنه بغير إرادتي.

✝ لقد فعلت هذا تقريباً طوال النهار وبالأكثر في أوقات الصلاة، لأني في كل الأوقات: في كل ساعة وكل لحظة بل وفي أكثر المناسبات انشغالاً كنتُ أُنحِّي وأطرح من عقلي كل شئ حسبته ينــزع مني فكر الله.

✝ هذه، إذن، كانت ممارستي المعتادة منذ دخلت الحياة الروحية. وبالرغم من أنني مارست هذا الاختبار بكثير من التكاسل والنقائص، إلاّ أنني اكتسبت منه منافع هائلة. إني أعرف جيداً أن هذه المنافع ترجع إلى رحمة الله وصلاحه، من حيث أننا لا يمكننا أن نعمل شيئاً بدونه، وأنا بالأكثر.

✝ ولكن عندما نحفظ أنفسنا بإخلاص في حضرته المقدسة، متفكرين فيه أنه دائماً أمامنا، فسوف نتوقف من أن نعمل كل

ما لا يُسرُّه، على الأقل بإرادتنا، بنفحة فكرية منه، حتى يكون لنا الحرية المقدسة لنسأله مواهب النعمة التي ننتظرها محتاجين. وفي الحقيقة، إنه بتكرار هذه الأفعال فإنها تصبح مسألة تعوُّد، والوجود في حضرة الله يصبح بطريقة ما طبيعياً.

✞ اشترك معي إذا رغبتَ في شكره على عظيم صلاحه نحوي. لا أستطيع أبداً أن أتعجب بما يكفي على عدد النعم التي وهبها لخاطئ بائس مثلي.

✞ ليكن الله مباركاً على الكل آمين.

غير مؤرخ

الرسالة الثالثة عشرة

✞ إذا كنا متعودين على ممارسة الوجود في حضرة الله، فكل أمراض الجسد ستهون. وكثيراً ما يسمح الله لنا بأن نعاني قليلاً لينقِّي أرواحنا ويضطرنا لنبقى معه. لا أستطيع أن أفهم كيف أن نفساً كائنة مع الله وتشتهيه وحده تكون قادرة على البؤس، أنا عندي خبرة كافية لأقتنع بهذا.

✞ تشجَّع. قدِّم له بلا انقطاع آلامك. والْتمسْ منه القوة لاحتمالها. وفوق الكل تعوَّد أن تتمسك بالشركة معه. لا تنْسَه بأقصى ما يمكن من استطاعتك. اعبدْه في شدائدك. داوم على إخضاع ذاتك، وفي أشد آلامك اسألْه باتضاع وحب، كمثل طفل يسأل أباه الصالح، من أجل التسليم لإرادته المقدسة، وطلب معونة نعمته، وسوف أساعدك بصلواتي الضعيفة الضئيلة.

✞ الله له طرق كثيرة ليجذبنا إليه، وأحيانا يخفي نفسه عنا، ولكن الإيمان البسيط الذي لا يفشل في وقت الاحتياج، يجب أن يكون هو دعامتنا وأساس ثقتنا التي يجب أن تكون كلها في الله.

✟ لا أعلم ماذا ينوي الله أن يفعل معي. لكن سعادتي تزداد باطراد. إن كل شخص يتألم، أما أنا الذي من المفروض أني تحت الطاعة (الرهبنة)، أحس بأفراح مستمرة وشديدة، لدرجة أني أجد صعوبة في ضبطها.

✟ سوف أسأل الله جَدِّياً أن يمنحني جزءاً من آلامك، ولو أني أعلم مقدار ضعفي الشديد، حتى أنه لو تركني لحظة لنفسي فسوف أكون أكثر المخلوقات بؤساً، ومع ذلك لا أعلم كيف يمكن أن يتركني وحدي، حيث أن الإيمان يمكِّنني أن ألمسه بأصابعي، وهو لا يبتعد عنا إلا إذا ابتعدنا نحن عنه أولاً، ليتنا نخاف من هذا الابتعاد ونبقي دائماً معه. ليتنا نعيش ونموت معه. صلِّ إليه لأجلي كما أنا لأجلك.

٢٨ نوفمبر ١٦٩٠

الرسالة الرابعة عشرة

✟ كثيراً ما تكلم معي الأخ لورنس بحرارة شديدة وبصراحة عن طريقته في الاقتراب من الله. وقد أخذت منه بعض الملاحظات. أخبرني أن الأمر يحتاج إلى عمل واحد متقن هو جحد كل شيء نعتز به بينما طالما هو لا يؤدى إلى الله، ذلك لكي نعوِّد أنفسنا على حديث غير منقطع مع الله بدون تصنُّع ولا غموض.

✟ من الضروري أن نكتشف أن الله حاضر حضوراً شخصياً بيننا، لكي نتحول إليه في كل لحظة ونسأله المعونة، ولنتعرف على مشيئته في كل الأمور المشكوك فيها. ونعمل كل ما يبدو واضحاً لنا أنه يريده بطريقة حسنة، مقدمين له كل ما نعمل قبل أن نعمله، ونعطيه الشكر عندما نكمله. في هذه الشركة غير المنقطعة يصير الإنسان منشغلاً باستمرار بشكر وتمجيد ومحبة الله على أفعال محبته الرحيمة اللانهائية وكماله المطلقة.

✟ يجب أن نلتمس منه في ثقة كاملة نعمته، دون النظر إلى ما نفكر فيه، مُتَّكلين فقط على استحقاقات إلهنا اللانهائية. والله لن يتأخر أن يقدم لنا نعمته في كل مناسبة. لقد أدرك هذا جداً

وقال: إنه لم يكن يخفق إلا إذا ابتعد عن الشركة مع الله أو نسي أن يسأله المعونة.

✝ عندما نكون في حالة شك، فإن الله لن يفشل أن يعطينا نوراً عندما لا يكون لدينا أي تدبير آخر سوى أن نُسرّه ونعمل كل شئ لأجله، إن تكريسنا لا يعتمد على تغيير أعمالنا، لكن في أن نعمل لأجل الله ما نعمله عادة لأنفسنا. من المحزن أن نرى عدداً غير قليل من الناس أقدموا على بعض الأعمال الخاصة وأَدُّوها بعدم إتقان نتيجة لانشغالاهم البشرية العديدة، وبهذا أخطأوا في الوسيلة التي تبلغهم إلى الغاية. ولقد اكتشف أن الوسيلة الفُضْلى للاقتراب من الله هي من خلال المهمات العادية حيث هناك تكمن الطاعة لأجل الله، مُطهِّرين هذه الأعمال من كل قوام بشرى، ومُكمّـــلينها كلها لأجل محبة الله.

✝ وقال أيضاً إنه خداع شديد للنفس أن يقتنع الإنسان أن وقت الصلاة مختلف عن أي وقت آخر. إننا مُطالبون بأن نكون واحداً مع الله سواء في أدائنا وقت الأشغال أو في وقت الصلاة بأوقاهما الخاصة. وصلاتنا ببساطة هي الوجود في حضرة الله، ونفسنا لا تدرك في هذا كله إلا الحب، والحب فقط. ولكن بعيداً عن هذه الأوقات لم يكتشف أي اختلاف إلا نادراً، محتفظاً

بنفسه دائماً قرب الله، يباركه ويمجده بكل قواه، عابراً حياته في فرح لا ينقطع، مؤمّلاً أن الله سوف يسمح له ببعض الألم عندما يتقوى بالروح.

✝ ويجب فوق كل شيء أن نستأمن أنفسنا في الله ونسلِّم أنفسنا له وحده، عالمين أن الله لن يخدعنا.

✝ لا يجب أن نملَّ من عمل أشياء صغيرة لأجل حب الله، فالله لا ينظر لعظمة الفعل ولكن للحب المعمول به. وبعض الفشل في البداية لا يجب أن يُفزعنا، لأنه في النهاية تأتى العادة، والعادة تولِّد الفعل بدون تفكيرنا فيه، ومعه فرح مذهل.

✝ الإيمان والرجاء والمحبة يجب تغذيتهم لنصبح مكرّسين كلياً لإرادة الله. وكل ما عدا ذلك ليس مهماً.

✝ يجب أن نتوقف هناك وكأننا على جسر، لكي نعبر به سريعاً في طريق التخلي وإنكار الذات، والهدف النهائي هو المحبة.

✝ كل الأشياء ممكنة لمن يؤمن، وأكثر إمكانية لمن يترجى، وأكثر بكثير من ممكنة لمن يمارس ويستمر في ممارسة هذه الفضائل الثلاث.

✝ إن الهدف الذي نسعى إليه ونضعه في حياتنا أمام أنفسنا هو أن نصير عابدين لله بأكبر إمكانية كاملة في الأرض، كما نرجو

ذلك خلال أبديتنا.

✞ عندما ندخل الحياة الروحية يجب أن نعطى اعتباراً أساسياً لنعرف تماماً مَنْ نحن، حينئذ سنجد أنفسنا مستحقين لكل خزي، وغير مستحقين لأن يُطلَق علينا اسم المسيح، ومُعرَّضين لكل أنواع الضغوط ولعدد بلا حصر من الأحداث المسيئة التي تجعلنا نضطرب والتي تؤثر في صحتنا وأمزجتنا وتقلُّب أوضاعنا في الداخل والخارج. والخلاصة: الله يجعلنا نتضع بشتى التجارب والمكابدات داخلياً وخارجياً. هل بعد كل هذا نتعجب إذا وقعت علينا في مجتمعنا تجارب أو ضيقات ومعاكسات ومتناقضات؟؟ على العكس يجب أن نخضع لها ونتحملها طالما أن هذا يُسرُّ الله، على أنها أمور تحدث لخيرنا.

✞ كلما كان طموح النفس إلى الكمال عظيماً، كلما كان الاعتماد بالأكثر على النعمة.

الرسالة الخامسة عشرة

✞ أشكر إلهنا لأنه أعطاك بعض التسكين لآلامك كما رغبت. لقد كنتُ أنا في مناسبات كثيرة على حافة الموت، رغم أني لم أكن مسروراً بالقدر الكافي. ولم أصلي أبداً طالباً الراحة، ولكن سألتُ الله القوة لأتألم بشجاعة وحب واتضاع.

✞ تشجع. إنه حلو أن نتألم مع الله مهما عظمت الآلام. تقبَّـلْها بحب.

✞ إنه الفردوس أن نتألم ونحن معه. وأيضاً، إذا رغبنا أن نتمتع، حتى في هذه الحياة، بسلام الفردوس، فيجب أن نتعود على المحادثة معه في أُلفة وحب واتضاع. يجب أن نمنع عقلنا من الدوران بعيداً مهما كانت الظروف. يجب أن نجعل من قلبنا هيكلاً للروح، هناك حيث نعبده بإكرام دائم. يجب أن نراقب أنفسنا بصفة مستمرة حتى لا نفعل شيئاً ولا نقول شيئاً ولا نفكر في شيء يمكن أن لا يُسرَّ الله. عندما نكون هكذا منشغلين بالله، فإن الآلام ستكون أوقات سعادة وتعزية وبلسم.

أنا أعلم أنه لكي نصل إلى هذه الحالة، فلابد من الصعوبة في

البداية، حتى أن الإنسان يجب أن يعمل بإيمان كامل. نحن نعرف أيضاً أننا نستطيع أن نفعل كل شئ بنعمة الله، والتي لا يمنعها الله عن الذين يسألونها بلجاجة. اقرع الباب، واستمر في القرع، وأنا أقول لك إنه في الزمان المناسب سوف يعطيك فجأة ما سبق وأَجَّل إعطاءَه لك لسنوات. صلِّ من أجلي كما أنا لأجلك. أتمنى أن أراك قريباً.

٢٢ يناير ١٦٩١

الرسالة السادسة عشرة

✝ الله يعرف جيداً ما نحتاج إليه، وكل ما يصنعه فهو لأجل منفعتنا. فإذا علمنا كيف أنه يحبنا فسوف نكون دائماً مستعدين أن نقبل من يديه بالتساوي الحلو والمر. حتى أكثر الأمور ألماً وأكثرها صعوبة فسوف تكون حلوة ومُسرَّة لنا. وأما أمرُّ الآلام فهي تبدو لنا غير محتملة من وجهة نظرنا فقط، ولكن عندما نقتنع أنها يد الله هي التي تتعامل معنا، وأنه الآب المملوء حباً هو الذي يضعنا في مواقف الإتضاع؛ فإن كل المرارة ستزول وسيبقى فقط العزاء.

✝ فلْنُكرِّس أفكارنا تماماً لمعرفة الله. كلما نعرفه، كلما تزداد رغبتنا لمعرفته. وحيث أن الحب يُقاس عادة بالمعرفة، هكذا كلما تعمقنا وازدادت معرفتنا تركيزاً، كلما يكون الحب أعظم. وإذا عظم الحب فسوف نحبه في الألم تماماً كما في العزاء.

✝ إذن، لا نرتد فنطلب الله ونحبه من أجل نِعَمِهِ التي يسبغها علينا مهما كانت عظيمة، ولا طمعاً فيما سيفعله لأجلنا. هذه النعم، ورغم عظمتها، فهي لن تقربنا من الله كما لفعل إيمان

واحد بسيط أن يعمله. فلنطلب الله بالإيمان. إنه داخلنا. ليتنا لا نطلبه في مكان آخر.

✝ هل نحن من الوقاحة والإجرام بحيث نتجاهله، ونشغل أنفسنا بآلاف آلاف التوافه التي لا تسره ، وربما تغضبه. إنه يتحملها كلها على السواء ولكن ما نخافه بالأكثر هو أننا يوماً سندفع بسببها الثمن غالياً.

✝ فلنبدأ بأن نكون له بدون تحفظ. فلنستبعد من العقل والقلب كل ما عداه. إنه يريد أن يكون وحده. اسأليه هذه النعمة. إذا فعلنا من جهتنا كل ما نستطيع، فسنرى حالاً التغيير الذي يحدث فينا والذي نتمناه. أنا لا أستطيع أن أشكره بما يكفي لأجل العافية القليلة التي أسبغها عليك. أنا آمل برحمته أن أنعم برؤيته بعد أيام قليلة. لنصلي بعضنا من أجل الآخر.

٦ فبراير ١٦٩١

الجزء الثالث

المبادئ الروحية للأخ لورانس

هذا الجزء هو غالباً من كتابة الأخ لورنس نفسه، ربما يكون كتبه تحت إلحاح من أصدقائه. ولاحظ أنه حينما يتكلم عن شخص في صيغة الغائب فهو يقصد نفسه.

✞ كل الأمور ممكنة لمن يؤمن، وأكثر إمكانية لمن يترجى، وأكثر وأكثر لمن يحب. وأكثر من كل هذا لمن يمارس ويحفظ هذه الفضائل الثلاث.

✞ كل من آمن واعتمد، فقد خطا أول درجة في الطريق إلى الكمال، وسوف يصل إلى الكمال طالما هو دائم الانتباه للمبادئ الآتية:

✞ النظر إلى الله دائماً وإلى مجده، في كل ما نعمل ونقول وننشغل به، حتى ندرك أن الهدف الذي نسعى إليه هو أن نكون عابدين الله بلا لوم سواء في هذه الحياة أو كما نترجى خلال الأبدية؛ وبتصميم ثابت نعزم أن نغلب كل الصعوبات التي تواجهنا في الحياة الروحية.

✞ عندما نتخذ الحياة الروحية، يجب أن نعي في عقلنا مَنْ نحن، وعندئذ سندرك أننا نستحق كل لوم، وأننا غير مستحقين لأن يُطلَقَ علينا اسم المسيح، وأننا معرَّضون لكل أنواع الضيقات والتجارب والظروف المتعبة بلا عدد التي تجعلنا غير سويين سواء في الصحة أو المزاج أو في نيات القلب أو السلوك، وباختصار نحن أناس يرغب الله في اتضاعهم بتجارب وأتعاب بلا حصر سواء داخلياً أو خارجياً.

✝ يجب أن نؤمن بلا شك أنه لفائدتنا يُسر الله بأن نبذل أنفسنا له، بمعنى أن تدبيره الإلهي يسمح لنا بمواجهة كل أنواع الأوضاع لنتألم بكل أنواع الحزن والآلام والتجارب لأجل محبة الله على قدر ما يُسرُّ الله ذلك، وذلك لأنه بدون أن يخضع القلب والروح لإرادة الله فلن توجد تقوى ولا كمال.

✝ إن اعتماد النفس على النعمة يكون بقدر ما تشتاق إلى الكمال الأعلى، وحينئذ تكون المعونة الإلهية ضرورية جداً في كل لحظة، لأنه بدونها لا تستطيع النفس أن تعمل شيئاً. العالم، والطبيعة، والشيطان، الكل يتحد في صراع معها. وهو صراع من القوة والاستمرار حتى أنه بدون النعمة والاتكال المُلِحّ والمتضع على الله فهذا الصراع قد يلقيها خارجاً رغماً عنها. هذا يبدو صعباً على الطبيعة لكن النعمة ترتاح فيه وتقبله.

ممارسات ضرورية للحصول على الحياة الروحية

✝ إن أقدس ممارسة وأقربها للحياة اليومية والأكثر حيوية للحياة الروحية هي اختبار الوجود في حضرة الله، بمعنى أن نجد الفرح في رفقته الإلهية وأن نجعل من هذه الممارسة عادة لحياتنا، بالحديث معه باتضاع والتحادث معه بحب كل وقت وكل لحظة، دون قانون أو حدود أو توقف، وفوق كل شئ في أوقات التجربة والضيق والجفاف والتقلُّب، وحتى في أوقات انعدام الإيمان والخطية.

✝ يجب أن نواظب على هذا، حتى تصير كل أفعالنا بلا استثناء مناسبات صغيرة لرفقة الله، ولكن بدون تصنُّع، وإنما كأنها نابعة من نقاوة وبساطة القلب.

✝ يجب أن نفعل كل ما نفعله بكل شعورنا واعتبارنا دون تهور ولا تسرُّع، فكلٌّ من التهور والتسرع يُعبِّر عن روح غير منضبطة. يجب أن نعمل بهدوء وثبات قلب وبمحبة أمام الله، ونصلى له حتى

يقبل جهادنا، وبهذا الانتباه المتواصل نحو الله نكسر عنق الشيطان، ونجرّده من أسلحته.

✝ يجب أثناء كل أعمالنا وكل أفعالنا، حتى في قراءاتنا وكتاباتنا حتى المقدسة منها، أعود وأكرر، وحتى أثناء عبادتنا الطقسية وتلاوة صلواتنا، أن نهدأ لفترة بسيطة، ولفترات كثيرة حسبما نستطيع، لنعبد الله في أعماق قلوبنا لنتذوقه، رغم أنه قد يحدث أن نحس أن هذا التذوق كأنه عابر، أو كما لو كان خلسة. بحيث أنك إن لم تُغفل وجوده أمامك مهما كان ما تفعله، وأنه في عمق ومركز نفسك، فلماذا لا تهدأ من وقت لآخر، على الأقل، من كل ما يشغلك خارجاً، حتى من صلواتك التي تتلوها، لتعبده داخلك، ولتُسبِّحه، ولتتوسل إليه، ولتقدم له قلبك وتشكره؟ فماذا يرضى الله أعظم من أن تتوقف خليقته آلاف آلاف المرات هكذا لتعتزل وتمجده من القلب؟ بل لتهدم محبة الذات. وهذا يوجد فقط في الأمور التي نتحرر منها تدريجياً في لحظات الاعتزال الداخلي والاقتراب من الله. وأخيراً نستطيع أن نقدم أقوى شهادة لله عن إيماننا بزهدنا آلاف آلاف المرات في الخلائق، لنتمتع ولو إلى لحظة واحدة مع الله خالقها.

✝ أنا لا أسعى أن أجبرك لتنسحب للأبد من العالم الذي حولنا.

فالتعقل الذي هو رأس الفضائل هو الذي يجب أن يكون مقياسنا؛ لكني على الأقل أقول إن هذا خطأ شائع بين الروحيين أنهم لا ينسحبون من وقت لآخر عن العالم حولهم، ليتذوقوا السلام لحظات قليلة في حضرته الإلهية.

✝ لقد أطلتُ في استطرادي. وأعتقد أن الموضوع يحتاج لكل هذا التوضيح. فلنرجع لاختبارنا. كل أفعال العبادة هذه يجب أن تنبع من الإيمان، ومن الثقة في حقيقة وجود الله في قلوبنا، وفي أنه يلزمنا أن نعبده، ونحبه ونخدمه بالروح والحق؛ وأنه يرى كل ما يحدث وما سيحدث، لنا ولكل خليقته؛ وأنه يوجد متعالياً عن كل شئ، وأنه الوحيد الذي عليه تعتمد كل الخلائق الأخرى، وأنه في كمال مطلق، وأنه مستوجب، بسبب صلاحه غير المحدود وبقوته المهيمنة، أن يملك علينا كلنا وعلى كل ما في السموات وما على الأرض، والتي يدبرها جميعاً بمسرة صلاحه في هذا الدهر والدهر الآتي. وفي الحقيقة نحن ندين له بكل أفكارنا وأفعالنا وأقوالنا. فلنحرص أن نعمل هكذا.

✝ يجب أن نفحص بعناية ما هي الفضائل التي نحن في أشد الحاجة إليها، وما هي الفضائل الأصعب في الحصول عليها، وما هي الخطايا التي كثيراً ما نسقط فيها، والمناسبات المتكررة التي لا

مناص من سقوطنا أثناءها؟

✞ يجب أن نتحول لله في ثقة كاملة ساعة المعركة، ونجاهد بقوة في حضرة جلاله الإلهي، ونعبده باتضاع، ونعرض أمامه ضعفاتنا وبلايانا. وبهذا نجد فيه كل الفضائل التي تنقصنا ونحن في احتياج إليها.

كيف يجب أن نعبد اللّه بالروح والحق

✞ هذا السؤال يثير ٣ نقاط تحتاج إلى إجابة:

✞ أن نعبد الله بالروح والحق معناه أن نعبد الله كما يجب علينا عبادته. الله روح ويجب أن يُعبد بالحق، أي بالعبادة المتضعة والأصيلة، وفي عمق ومركز النفس.

✞ والله وحده هو الذي يقدر أن يرى هذه العبادة، وهى عبادة نستطيع أن نقدمها بتكرار حتى تصير في النهاية وكأنها صارت طبيعة فينا، وكأن الله واحد مع نفسنا، ونفسنا واحدة معه. والممارسة العملية تجعل هذا الكلام واضحاً.

✞ أن نعبد الله بالحقيقة هو أن نتعرف عليه مَنْ هو، ونتعرف على أنفسنا مَنْ نحن. أن نتعرف بحق، وفي هذه اللحظة الحاضرة، وبالروح، على الله كما هو، أي الله في كماله المطلق، الممجّد بلا حدود، المنـــزّه عن الشر، وهكذا في كل صفاته الإلهية غير المحدودة.

✞ فماذا يكون، إذن، ذلك الإنسان الصغير في عقله، الذي

لا يستخدم كل قواه ليقدِّم لهذا الإله العظيم التكريم والتوقير اللائقين.

✞ أن نعبد الله بالحق هو أيضا الاعتراف بأننا منفصلون تماماً عنه، بينما هو يرغب بشدة أن يجعلنا مثله إن أردنا. من تُراه سيكون جاهلاً لدرجة أن يبتعد بعيداً، ولو إلى لحظة، عن الكرامة والمحبة والخدمة والعبادة اللانهائية الواجبة له.

عن اتحاد النفس بالله

✞ هناك ثلاثة أنواع من الاتحاد: الأول معتاد، والثاني عملي، والثالث حقيقي.

✞ الاتحاد المعتاد: إذا اتحد أحد مع الله بالنعمة فقط.

✞ الاتحاد العملي: إذا بدأ أحد أي فعل بواسطته يتحد بالله، وبفضل هذا العمل يبقى الاتحاد مستمراً طالما استمر الفعل.

✞ الاتحاد الحقيقي: وهو أكمل اتحاد. ولأنه روحي تماماً فالحياة فيه محسوسة، لأن النفس في هذا الاتحاد لا تكون نائمة كما في الأنواع الأخرى، لكنها تحس بقوة أنها نشطة، وحركاتها تكون حية كمثل ما للنار من حركة، ومتألقة أكثر من الشمس، وغير معتمة بأية غيوم. ولكن قد ينخدع الإنسان عندما يشعر بكل هذا. فليس الأمر مجرد تعبير عن القلب كمثل أن يقول أحياناً: "إلهي إنني أحبك من كل قلبي"، أو ما إلى ذلك من العبارات. لكنه اختبار النفس بما لا يمكن وصفه، حلو، سلامي، روحاني، جليل، متضع، محبب، وبسيط للغاية. هو يرفع النفس ويدفعها لتحب الله، بل وتمسك به بشدة، بمشاعر تفوق الوصف، ولكن

الخبرة وحدها تجعلنا نفهمها.

✠ كل الذين يطلبون الاتحاد بالله، يجب أن يعرفوا أن كل ما يجدد الإرادة، مقبول ومُسرٌّ لهذا الاتحاد. وكل واحد يجب أن يعترف بأن الله أبعد من الفهم البشري، وأنه لكي نكون واحداً معه، فالإرادة يجب أن تتجرد من كل أنواع المذاقات والمسرات سواء الروحية منها أو الجسدية، حتى إذا تجردنا تماماً هكذا، فإننا يمكن أن نحب الله أكثر من أي شيء. فإذا حدث أن الإرادة، بطريقة ما، تستطيع أن تفهم الله، فإن ذلك يكون ممكناً من خلال الحب.

✠ هناك فرق عظيم بين مذاقات الإرادة وأهوائها، وبين أعمال الإرادة، لأن مذاقات وأهواء الإرادة موجودة في النفس، كما لو كانت داخل حدودها الخاصة، ولكن عمل الإرادة الذي هو المحبة، ينتهي بنا إلى الله.

فيما يختص بالوجود في حضرة الله

✠ الإحساس بالوجود في حضرة الله هو توجيه أرواحنا لله أو تذكُّر لحظيٌّ لله، والذي يأتي من خلال التصور أو الفهم.

✠ أعرف شخصاً ظل لمدة ٤٠ سنة يمارس بذهنه اختباري. وقد أطلق على هذا الاختبار عدة أسماء أخرى، فأحياناً يسميه "فعل بسيط" أو "معرفة متميزة عن الله"، وأحيانا "رؤية واضحة وتحديق نفَّاذ ومُحب وتذكُّر لله". وأحياناً أخرى يسميه "انتباه موجَّه لله، وحديث صامت معه، ثقة في الله، حياة وسلام للنفس". أخيراً، أخبرني هذا الشخص أن كل هذه الأوصاف لاختبار الحضرة الإلهية ما هي إلاَّ مترادفات، وكلها تعنى نفس الشيء، الذي صار أمراً طبيعياً عنده الآن.

✠ وقال هذا الشخص: إنه بفضل هذه الأفعال باستجماع روحه لتكون في حضرة الله، تكونت لديه عادة أنه بمجرد أن ينتهي من واجباته العادية بل وأحياناً حتى وهو منخرط فيها، فإن

أرقى ما في روحه وأنبل ما في نفسه، وبدون جهد من جانبه، يرتفع فوق كل الأشياء وهدأ نفسه وكأنها ثابتة في الله، وكأنها في بؤرة وموضع راحتها. وإذ يحس دائماً بالنفس وهي في هذه الحالة من الارتباط بالله والممتزجة بالإيمان، فإنه يشعر بالرضا، وهذا ما يسميه بالحضور الحقيقي لله.

✟ هذا الشعور يخيم على سائر الأعمال وأكثر جداً، حتى أنه يعيش الآن كما لو لم يكن في هذا العالم إلا الله وهو. وأينما كان فهو يتحدث مع الله، ويسأله فقط ما يحتاجه، وتتجدد روحه بلا نهاية بآلاف وآلاف الطرق.

✟ الآن من الصواب أن يعرف أن هذه الشركة مع الله تتم في عمق ومركز النفس. هناك تتحدث النفس مع الله من القلب للقلب، وهي دائماً في وسط سلام عظيم عميق فيه تتمتع الروح بالله. أما كل ما يحدث خارجاً، فهو للنفس، ليس سوى نار في قش سرعان ما يخمد بعد توهجه، ونادراً ما يُعكر صفو السلام الداخلي.

✟ لِنَعُدْ إلى موضوعنا (اختبار الوجود في حضرة الله)، فأقول إن هذا التحديق المحب في الله، يُشعل ناراً إلهية في النفس، دون أن نشعر، وهي تُضرم النفس بالحب الإلهي، بحرارة شديدة لدرجة

أن الشخص يضطر لتلطيفها بأفعال كثيرة خارجية.

✟ سوف نندهش إذا علمنا ماذا تقول النفس أحياناً لله الذي يبدو مسروراً جداً بهذه الأحاديث، حتى أنه يسمح بهذه الأحاديث كلها بشرط أن تبقى النفس ثابتة دائماً معه وفي داخله، وكما لو كان خائفاً لئلا ترجع النفس إلى الأمور الأرضية. إنه يهتم بها بأن يمدها بكل شيء ترغبه بطريقة تجعلها تجد داخلها طعاماً جميل المذاق، شهيّ الطعم، على الرغم من أنها لم تطلبه ولا بحثت عنه بأية طريقة وبدون تدخُّل من النفس، ولكن بمجرد الرغبة في الأخذ.

✟ الوجود في حضرة الله، إذن، هو حياة وغذاء النفس، تحصل عليهما بنعمة الله، بالطريقة كما يلي:

✟ أول وسيلة هي طهارة عظيمة في الحياة.

✟ والثانية إخلاص عظيم في ممارسة هذا الاختبار للحضور الإلهي، وفي مواصلة نظر النفس في الله، ومن خلالها يمارَس كل شئ بهدوء تام، وباتضاع، وبمحبة، وبدون السماح بأي اضطراب أو قلق.

✟ بشأن هذه النظرة الداخلية لله، لابد أن نعطى عناية خاصة

تؤخذ في الاعتبار: أن هذه النظرة تأتي مع أفعالك الخارجية، فأحياناً تكون مُصاحِبة لهذه الأفعال، وأحياناً تضطر أن تُنهيها كلها بالطريقة المناسبة. وحيث أن النفس تأخذ وقتاً كبيراً وجهداً أكبر لتصل إلى هذه الممارسة هكذا، فلا يجب أن يضطرب الإنسان إذا أخفق، لأن العادة لا تتكون إلا بالتعب. أما عندما تتكون، فهي تستطيع أن تعطى للنفس فرحاً عظيماً.

✞ أليس صواباً أن القلب الذي يدخل الحياة الروحية أولاً، والذي يهيمن على باقي أعضاء الجسد، أن يكون هو الأول والآخر الذي يحب الله ويعبده، سواء في بداية أو في نهاية كل ما نفعله بالروح أو بالجسد، وبصفة عامة في كل أمور الحياة؟ وهنا يجب أن نعطى اهتماماً لهذه النظرة الداخلية، التي، كما قلت، هي اختبار ليس خالياً من تعب أو ضيق حتى يسهِّلها الله لنا.

✞ لن يكون غير مناسب للذين يمارسون هذا الاختبار، الالتجاء إلى كلمات قليلة تُقال من القلب مثل: "إلهي أنا كلي لك"، "يا إله المحبة، أنا أحبك بكل قلبي"، "ربي اجعلني بحسب قلبك"، أو أية كلمات أخرى غيرها كما يوحي الحب في اللحظة. ولكن يجب أن يهتموا لئلا يتشتت عقلهم ويرجع للعالم المحيط بهم. يجب أن يثبِّتوا العقل في الله وحده، حتى إذا وجد العقل

نفسه مرتبطاً ومنضبطاً هكذا بالإرادة، فإنه في النهاية يجد نفسه منحصراً ليثبت في الله.

✞ اختبار الوجود في حضرة الله هذا هو صعب نوعاً ما في البداية، لكن إذا مورس بإخلاص، فإنه يُحدث في النفس سراً تأثيرات مدهشة، تجذب للنفس فيض نعم الله، ويقودها بطريقة غير مدركة إلى تلك النعمة البسيطة، إلى نظرة الحب لله الحاضر دوماً، والتي هي أقدس وأصدق وأسهل وأنجح طريقة للصلاة.

✞ لاحظ، من فضلك، أنه لكي تصل إلى هذه الحالة، فإن ضبط الحواس لابد أن يؤخذ بكل الاعتبار، حيث أنه مستحيل أن النفس التي تسترجع ولو بعض التعلق بالأمور الأرضية، مستحيل أن تتمتع بالتمام بهذا الوجود في حضرة الله. فلكي تبقى في حضرة الله، فالأمر يحتاج إلى تخلٍّ مطلق عن كل ما هو مخلوق.

مزايا الوجود في حضرة الله

✞ الفائدة الأولى التي تنالها النفس من الوجود في حضرة الله، هي أن يصبح الإيمان أكثر حيويةً وفعالية في كل أمور حياتنا، خاصة في احتياجاتنا، حيث أن هذا الحضور يُكسبنا نعمة في تجاربنا وفي علاقاتنا الضرورية مع أصدقائنا، ذلك لأن النفس إذا اعتادت بهذا التدريب على ممارسة الإيمان، فإنها بفعل بسيط من الذاكرة، ترى وتحس بأن الله هناك، فتناديه بسهولة وبوعي، وتحصل على ما تحتاجه. ويمكن القول بأنها هنا في هذه الحالة تقترب شيئاً فشيئاً من حالة الطوبانية (الإحساس بالسعادة الروحية والبركة الإلهية). وكلما تقدمت أكثر في هذا الاختبار، كلما ازداد إيمانها حيوية. وأخيراً تصبح النفس نافذة البصيرة، لدرجة أن الإنسان يمكن أن يقول "أنا ليس فقط أُصدق بل إني أرى وأختبر".

✞ إن اختبار الوجود في حضرة الله يجعلنا أقوياء في الرجاء. ورجاؤنا ينمو بقدر معرفتنا، وتبعاً لقوة نفاذ بصيرة إيماننا من خلال هذا الاختبار المقدس، إلى عمق أسرار الله، حتى أنه يكتشف

في الله جمالاً ليس فقط يفوق بلا حدود أي جمال أرضي منظور، بل أيضاً يفوق جمال أعظم الأرواح كمالاً وحتى جمال الملائكة. ورجاؤنا ينمو ويقوِّي إيماننا. وفي بعض الأحوال تتذوق النفس وتتمتع بهذا الخير العظيم الذي تسعى أن تتمتع به، وهو الذي يدعم ويؤكد هذا الرجاء.

✞ الرجاء يُشبِّع الإرادة بازدراء الأمور الأرضية، ويشعلها بنار الحب المقدس، لأنه بالوجود الدائم في حضرة الله، الذى هو نار آكلة، فهو (أي الرجاء) يحرق كل ما يقف ضده ويصيِّره رماداً. والنفس عندما تشتعل هكذا، لا تستطيع إلا أن تستمر في العيش في حضرة إلهها، هذا الحضور الذى يولِّد في قلبها غيرة مقدسة، وتوقاناً واشتياقاً لترى هذا الإله المحبوب المعروف والمخدوم والمعبود من كل الخلائق.

✞ بواسطة هذا الاختبار للوجود في حضرة الله وهذا التحديق الداخلي، تصبح النفس متآلفة مع الله بشكل يجعلها تقضى تقريباً كل حياتها في أفعال متواصلة من الحب، والتمجيد، والتوبة، والثقة، والشكر، والتضحية، والتوسل، وكل الفضائل السامية. وأحياناً تصبح النفس هي ذاتها فعلاً متواصلاً لا يتوقف لأنها تعيش في اختبار لا ينقطع لهذا الوجود في حضرة الله.

✞ أنا أعرف أن قليلين هم الذين بلغوا هذا المستوى. إنها نعمة يمنحها الله لنفوس قليلة مختارة، لأنه في النهاية يكون هذا "التحديق البسيط في الله" عطية من يد الله السخية. لكني أقول، من أجل تعزية الراغبين في ممارسة هذا الاختبار المقدس، إن الله يعطيه لهؤلاء الذين يضعون أنفسهم لقبوله. ولكن إذا لم يعطهم إياه، فالشخص يمكنه، على الأقل، بمعونة نعمة الله الإعتيادية أن يحصل باختبار الوجود في حضرة الله على حالة ونمط من الصلاة قريبة جداً من حالة "التحديق البسيط في الله" أي تلك النظرة التأملية البسيطة فيه.

الجزء الرابع

الطرق الروحية للأخ لورانس

هذا الجزء هو غالباً من كتابة رئيس الدير الذي عاش فيه الأخ لورنس، وهو الذي قام بتجميع رسائله وأحاديثه ومبادئه.

✞ إنني أكتب عما سمعته ورأيته شخصياً من طرق الأخ لورنس أحد الرهبان الكرمليين الحفاة الذى مات في دير في باريس منذ سنتين مضتا والذي تذكاره يُعدُّ بركة.

✞ شخص فضَّل أن ينهي حياته في آخر الصف في بيت الله، عن أن يتمسك بأي رتبة عالية بين الخطاة «لقد فضل عار المسيح عن غنى خزائن مصر»، لقد عبَّر عن الرغبة في «أن أشترك أنا ونفوس الذين لم ينخدعوا بمحبة العالم الحاضر»، في كل ما عرفه، وهو ما جَمَعتُه من أفكار الأخ لورنس. ولقد أذعنت بسرور. ومع أنني نشرت فعلاً مقدمة وبعض رسائل هذا الأخ الصالح، إلا أنني توصلت إلى أن ما حفظناه من تراث هذا الرجل القديس، لا نستطيع نشره على نطاق واسع.

✞ وأعتقد أنه من المفيد أن نكتشف في شخصه نموذجاً رائعاً من التقوى الراسخة، في وقت يضع فيه الكل تقريباً الفضيلة في غير مكانها، ويتخذون طرقاً مزيفة للوصول إليها. إن الأخ لورنس هو الذى سوف يتكلم معك بنفسه، وسوف أعطيك نفس كلماته الخاصة في المحادثات التي أجريتها معه. لقد كنت أكتبها فور أن أتركه. إذ لا أحد يستطيع أن يصف القديسين أفضل من القديسين أنفسهم، فاعترافات ورسائل القديس أغسطينوس تصوِّره بأكثر

طبيعية من أية كتابات أخرى عنه. وهكذا فلن يكون أفضل ما يُعرَّف به خادم الله، الذى أود أن أشرح فضائله لك، مما قاله هو نفسه في بساطة قلبه.

✝ إن جدارة الأخ لورنس لم تجعله قط عابساً. لقد رحب بي بمودة أعطتني ثقة، وبالإحساس الفوري الذي يشجع الشخص أن يفضي بكل شيء له، وبأنه وجد فيه صديقاً.

✝ أما من جهته فعندما علم بالناس الذين لابد أن يكون له عمل معهم، فإنه كان يتكلم معهم بحرية ويُظهر لطفاً كبيراً. إن ما قاله كان بسيطاً ولكن دائماً في الصميم ومليئاً بالمعاني. ووراء مظهره الخارجي الجاف، يُمكن إدراك حرية لا يمكن أن يصل إليها أخ غير إكليريكي مسكين، له بصيرة داخلية تفوق كل ما يتوقعه أحد عنه. ففي سعيه وراء المحبة، أظهر ذكاءً مناسباً لأداء أكثر الأعمال أهمية، والذي كان يتطلب كل أنواع المشورة. هكذا كان الأخ لورنس في أول تعرُّفي به.

✝ لقد كشف بنفسه عن شخصيته وطرقه الباطنية في محادثاته التي قدمتُها لكم. لقد بدأ تجديده، كما ستجده فيما بعد، بفكرة نبيلة أدركها عن قوة وحكمة الله. هذه الفكرة استخدمها بعناية وبأمانة عظيمة طارداً بها كل فكر آخر.

✝ ومن حيث أن هذه المعرفة الأولى بالله كانت، في النهاية، هي العامل الأساسي لكل الكمال الذى وصل إليه الأخ لورنس، فمن المناسب التوقف قليلاً عند هذه النقطة لنتأمل سلوكه تجاه هذه المعرفة.

✝ إن الإيمان كان هو النور الوحيد الذى اتخذه، ليس فقط ليعرف الله في البداية (إنه لم يرغب إطلاقاً أن يفعل شيئاً إلا بالإيمان، يعلمه ويرشده في كل طرق الله). لقد أخبرني أنه وجد أن كل ما سمعه من الآخرين، وكل ما وجده في الكتب، وكل ما كتبه هو بنفسه، بدا بلا طعم بالمقارنة مع عظمة الله والمسيح يسوع، الذي كشفه له الإيمان.

✝ إنه يقول: «الله وحده قادر أن يجعل نفسه معروفاً كما هو حقيقة، إننا نبحث عنه في المنطق والعلوم كما في صورة رديئة، بينما نهمل رؤيته في الأصل الرائع. الله يعلن نفسه في أعماق نفوسنا، ونحن لا نريد أن نراه هناك. نحن نتركه لأجل تفاهات، ونزدرى بأن نتحدث مع ملكنا، الذى هو دائماً حاضر فينا. ما أقل ما نحب الله، وأقل جداً ما نعرفه مما تخبرنا به الكتب أو بما نحسه داخلنا من خلال أفكار أثناء العبادة أو ببعض الإلهام. يجب أن نجعل إيماننا حياً، وبواسطته نرفع أنفسنا فوق كل ما نحس

به، من أجل أن نعبد الله والمسيح يسوع في كل كمالاته الإلهية، كما هو بالحقيقة. طريق الإيمان هو روح الكنيسة، وهو كافٍ لنا ليوصلنا إلى أعلى كمال».

✠ إنه ليس فقط يتطلع إلى الله باعتباره حاضراً في داخل نفسه بالإيمان، ولكن في كل ما يراه، في كل ما حدث ويحدث له، كان يرفع قلبه في الحال عابراً من المخلوق إلى الخالق. إن منظر الشجرة التي رآها متجردة من أوراقها وقت الشتاء، جعله يفكر حالاً في الله، وغرس في نفسه انطباعاً سامياً، لدرجة أنه عندما استرجع هذا المنظر أمامي بعد ٤٠ سنة، كانت هذه الفكرة مشرقة بقوة في نفسه كما استوحاها لأول مرة. وهذه كانت طريقته في كل المناسبات أن يستخدم الأمور المرئية ليصل إلى التي لا تُرى.

✠ وهكذا أيضاً في قراءاته القليلة التي كان يمارسها، كان يفضل الكتاب المقدس على كل الكتب الأخرى، حيث في كلمات الرب يسوع المسيح الخاصة وجد البساطة المطلقة والنقاء المطلق الذى به يتغذى إيمانه. وبإخلاصه غرس في قلبه الإحساس العميق بالوجود في حضرة الله، وبهذا الإيمان بدأ الأخ لورنس. لقد شغل نفسه بأفعال مستمرة من المحبة والعبادة، وبنداء طلب المعونة من الله، وبكل ما وجب عليه فعله. كان يشكر الله عندما يعمل،

ويسأله المغفرة عن تقصيراته بالاعتراف بها، «بدون أن يعطي الأعذار لنفسه».

✠ ولأن كل هذا كان مرتبطاً جداً بكل ما يعمله، ولأن كل ما يعمله كان هو موضوع صلاته، لذلك فكان يؤدي أعماله بسهولة أكبر. ومع عدم تشتت فكره عن عمله، فإن اختباره الوجود في حضرة الله جعله يعمل كل عمل حسناً.

✠ لقد اعترف أن ذلك كان صعباً في البداية. وأنه في أوقات كثيرة كان ينسى تدريبه. ولكنه عندما كان يعترف بخطئه كان يعود ثانية إليه بدون اضطراب.

✠ وأحياناً كانت بعض الأفكار المشوشة تحتل عنوة مكان الله في فكره، لكنه كان يكتفي بأن يُنحِّيها بلطف بعيداً ليرجع لشركته المعتادة مع الله. وفي النهاية تكللت أمانته بتذكار غير منقطع لله. إن أفكاره وأفعاله الكثيرة والمتنوعة تحولت عنده إلى رؤيا بسيطة، إلى حب مستنير، إلى فرح متواصل. وكما يقول هو: «إن وقت العمل عندي لا يختلف عن وقت الصلاة. إنني أقتني الله بنفس السلام أثناء صخب المطبخ، حيث يطلب مني أحياناً عديد من الناس، طلبات مختلفة، في نفس الوقت؛ تماماً كما أقتنيه حينما أكون راكعاً على ركبتيَّ أمام الأسرار المقدسة. حتى

إيماني صار مستنيراً، لدرجة أن ظننت أني فقدت الإيمان. لقد بدا لي أن ستار الغموض قد اختفي، وأن نهار الحياة الأخرى الذى بلا غروب ولا غيوم قد بزغ». هذه هي النقطة، التي أوصلت أخانا الطيب إليها: إخلاصه في رفض كل فكر آخر ليخصص نفسه لحديث متواصل مع الله. وفي النهاية صار هذا الأمر له عادياً جداً، لدرجة أنه صار من المستحيل تقريباً -كما قال هو- أن يتحول عنه وينشغل بأية أمور أخرى.

✠ في هذه المحادثات سوف تجد ملاحظة مهمة في هذا الشأن. يقول هو إن هذا الاختبار لوجود الله: «لابد أن ينبع من القلب، من الحب أكثر من الفهم والكلام. ففي طريق الله الأفكار لا تجدي كثيراً، الحب يفعل كل شيء، ولا حاجة إلى أن تفعل كثيراً». (هذه هي نفس كلمات الأخ لورنس المؤمن العادي غير الإكليريكي أي غير المتقلد أية رتبة كهنوتية والذي كان يخدم في المطبخ، اسمحوا لي أن أنقلها كما هي):

✠ أنا أُقلِّب البيضة الصغيرة في المقلاة لأجل محبة الله. وعندما تطيب، فإذا لم أجد ما أفعله أطرح نفسي على الأرض وأسجد لله الذى أعطاني نعمة أن أفعل ذلك، وبعد ذلك أنهض وأنا أسعد من ملك. وعندما لا أجد عملاً آخر، فيكفي أن ألتقط قشة من

الأرض لأجل محبة الله. الناس يتطلعون لطرق تعلُّم كيفية محبة الله، إنهم يترجون أن يقتنوها لكني لا أعرف كم عدد هذه الطرق المختلفة. وهم يتعبون كثيراً ليثبتوا في حضرته بوسائل متنوعة. ولكن أليس أقصر وأقرب طريق بالأكثر هو أن نعمل كل شئ لأجل محبة الله، ونستثمر كل أعباء الحياة وأقدارها لإظهار هذا الحب نحوه، ونُبقى في داخلنا هذا الوجود في حضرته بشركة قلبنا معه؟ لا يوجد تعقيد في هذا. وليس علينا سوى أن نتجه بأمانة وبساطة و«بكل وقار». (إني أحتفظ بكلماته الخاصة).

✠ إلاّ أنه لا يجب أن نفترض أنه لكي نحب الله، يكفي أن نقدم له أعمالاً، وأن نناشده أن يعيننا، وأن نعمل أعمال المحبة له، فأخونا لورنس وصل لكمال المحبة لأنه كان فقط حريصاً، ومنذ البداية، ألا يفعل شيئاً يُمكن أن يُحزن قلب الله، ولأنه تخلى تماماً عن كل أمر آخر سواه ونسي ذاته تماماً. فقد قال (ونعود مرة أخرى إلى كلماته هو): «منذ دخلت الحياة الروحية، فقد توقفت عن أن أفكر في الفضيلة أو في خلاصي الشخصي. وبعد أن سلمت نفسي تماماً لله، ولأجل محبته، تخلَّيتُ عن كل ما هو بعيد عنه وصممت أن يكون لديَّ واجب واحد فقط بقية أيام حياتي أن أعيش كما لو لم يكن في العالم إلا الله وأنا».

✝ وهكذا بدأ الأخ لورنس بأكثر الطرق كمالاً، متخلياً عن كل شئ من أجل الله، وعاملاً كل شئ لأجل محبته. لقد نسي ذاته كلياً، ولم يعد يفكر لا في السماء ولا في الجحيم ولا في خطاياه السالفة، ولا التي يمكن أن يرتكبها بعد أن سأل الله المغفرة عنها. ولم يرجع ليطالع اعترافاته. لقد دخل في سلام كامل عندما اعترف بخطاياه لله، ولم يعرف أن يعمل شيئاً آخر. بعد هذا ترك نفسه بين يديّ الله طيلة حياته وموته، ووقته وأبديته. «لقد خُلقنا من أجل الله وحده، ولن يعتبر الله أنه من الخطأ أن نتخلى عن ذواتنا وأن نكرس نفوسنا كلياً له. وفيه سوف نرى بصورة أفضل ما ينقصنا، أكثر مما ندركه بأنفسنا من كل تأملاتنا. نحن ليس فينا سوى بقايا محبة ذات، وتحت قناع كمالنا تربطنا محبة الذات بأنفسنا وتعطلنا عن رفع قلوبنا لله.»

✝ لقد اعتاد هذا الأخ أن يقول، إنه في الكرب الشديد الذي عاناه لمدة أربع سنوات، وبصورة شديدة لدرجة أن أحداً من الأحياء ما استطاع أن يحرره من الاعتقاد بأنه هالك، لم يغير إطلاقاً من عزمه الأول، لكن حتى وبدون تفكير فيما قد يحدث له، وبدون أي تفكير في كربه (كما تفعل كل النفوس المكروبة)، عزّى نفسه بقوله: «مهما حدث، فسوف أفعل كل شئ أنا

أفعله، إلى نهاية حياتي، من أجل محبة الله». وهكذا وهو ناسٍ نفسه كان مستعداً حتى أن يكون هالكاً من أجل الله الذى وجد فيه نفسه بالحقيقة.

✝ إن محبة إرادة الله، احتلت فيه مكان الارتباط المعتاد أن يربط به الإنسان نفسه مع إرادته. وفي كل ما يحدث له، كان يرى تدبير الله، وهذا حفظه في سلام لا ينقطع. فإذا أخبره أحد عن خطأ جسيم، فبدلاً من أن يستغرب من ذلك، كان على العكس يتعجب من أنه لم يحدث ما هو أسوأ، وذلك على ضوء الشر الذى يقدر الأشرار أن يصنعوه. وفي الحال يرفع قلبه لله، ويرى أن الله يمكن أن يعالج الموقف، لكنه يسمح بهذه الشرور لأسباب عادلة وخلاصية حسب الناموس العام في تدبير الله لضبط للعالم، وبعد الصلاة لأجل الإنسان الذي أخطأ، لا يعود يضايق نفسه بعد ذلك بل يبقى في سلام.

✝ في يوم أخبرته، وبدون أية مقدمات، أن أمراً ما ذا عواقب وخيمة وله مكانة قريبة من قلبه، وقد تعب زماناً كثيراً لأجله، لن يمكن إتمامه، وأن قراراً قد اتخذ ضد هذا الأمر. فأجاب ببساطة: «لابد أن نقبل أن الذين اتخذوا مثل هذا القرار قرروا ذلك لأسباب وجيهة. ويبقى فقط أن ننفذه ولا نقول شيئاً آخر

عنه». وهذا هو عين ما فعله تماماً، وعلى الرغم من أنه أشار إلى هذا الأمر في مناسبات متعددة، إلاّ أنه لم يتفوّه أبداً بأية كلمة.

✠ زار رجل عالي المكانة الأخ لورنس أثناء إصابته بمرض خطير، وسأله ماذا سيختار لو أن الله منحه أن يتركه ليعيش وقتاً أطول في الحياة ليزيد من استحقاقاته، أو أن يأخذه للسماء؟ وبدون تفكير أجاب الأخ الصالح أنه سيترك الاختيار لله، ومن جهته هو فلن يفعل شيئاً سوى أن ينتظر في سلام حتى يُظهر له الله مشيئته. هذا السلوك المتعقل تركه في عدم همٍّ تماماً على أي شيء، وفي حرية كاملة تقترب من حرية القديسين.

✠ لم يكن ينتمي لأية جماعة، وليس له ميل وتفضيل لشيء معين. كان محبوباً بالتساوي من الذين لهم اتجاهات مضادة. كان يرغب في الخير للجميع بصورة عامة دون تمييز بين الأشخاص الذين يعملونه أو الذين لأجلهم يُعمل الخير. وكمواطن السماء، لاشيء كان يربطه بالأرض. نظرته للأمور لم تكن محدودة بالزمن، وبعد تأمل طويل في الله الأبدي وحده أصبح مثله أبدياً.

✠ كل شئ كان بالنسبة له سواءً، أي مكان، أية مهمة. هذا الأخ الصالح وجد الله في كل مكان، سواء عندما كان يصلح

الأحذية أو بينما هو يصلى مع جماعة الرهبان. لم يكن شغوفاً بالذهاب إلى أماكن الخلوة (التي تخصص بصفة دورية للرهبان) بعيداً في عمق الصحراء، لأنه وجد في واجباته العادية كما في عمق الصحراء نفس الله الذي يعبده. كل وسائله للاقتراب من الله هي أن يفعل الكل لأجل محبته، وهكذا لم يكن يعتني بما يجذب انتباهه، بل بما يفعله لأجل الله. إنه الله وليس العمل، الذى يضعه في اعتباره. لقد علم أنه كلما كان العمل ضد ميوله الطبيعية، كلما كان حبه أعظم في تقديمه هذا العمل لله، وأن صغر العمل لن يقلل من قيمة التقدمة بأي حال، لأن الله الذى لا يحتاج لشيء، سوف يقدِّر قيمة الحب فقط في عمله الذي عمل.

✠ وسمة أخرى في شخصية الأخ لورنس هي صفة الثبات بطريقة فذة، التي في مجالات أخرى من الحياة يُمكن أن تسمى الإقدام أو عدم الخوف. وقد كشفت هذه الصفة عن نفس عظيمة تسامت فوق الخوف واشتهاء أي شئ ليس هو الله. لم يكن يُعجب من شئ، ولا يستغرب من شيء، ولا يخاف من شئ. ثبات النفس هذا نبع من نفس المنابع التي نبعت منها كل فضائله.

✠ الفكرة السامية التي له عن الله أظهرت الله له كما هو، في عدله الضابط الكل، وصلاحه غير المحدود. وإذ استند على هذه،

تأكد أن الله لن يخدعه، بل سيعطيه فقط كل ما هو صالح، من حيث أنه من جهته عزم ألا يُغضب الله أبداً، بل يفعل كل شئ ويحتمل كل شيء لأجل محبة الله.

✝ سألته يوماً من هو مُرشده؟ أجاب أن لا أحد طبعاً، وهو يعتقد أنه لا يحتاج لأحد، حيث أن القانون والواجبات التي عليه أن يعملها كراهب تشير عليه بما ينبغي أن يفعل في حياته العادية، وأن الإنجيل يطالبه أن يحب الله بكل قلبه. ولما عرف هذا بدا له أنه لا يحتاج لمرشد، لكنه في حاجة شديدة لأب اعتراف ليعطيه الحِلَّ من خطاياه.

✝ هؤلاء الذين يسلكون الحياة الروحية تبعاً لأهوائهم أو عواطفهم الشخصية، ويعتقدون أن لا شيء عليهم أن يفعلوه أكثر أهمية من فحص أنفسهم ليروا هل هم حقاً أتقياء أم لا، مثل هؤلاء لن يعرفوا الاستقرار أبداً، ولا القاعدة الثابتة للحياة، لأن مثل هذه الأمور تتغير باستمرار، إما عن طريق إهمالنا، أو لأن الله يأمر بذلك. الله ينوِّع عطاياه وأسلوبه في التعامل معنا تبعاً لاحتياجاتنا.

✝ الأخ الصالح لورنس، على العكس من ذلك، فلأنه ثابت على طريق الإيمان، الذى لا يتغير أبداً، ظل هو كما هو، لأنه سعى

فقط أن يؤدي واجباته في المكان الذى يضعه فيه الله، معتبراً هذه الفضائل التي تتطلبها تلك الظروف أنها فضل من الله. وبدلاً من أن يهتم بميوله وفحص الطريق الذي تحت قدميه، فقد نظر فقط إلى الله، غاية هذا الطريق، وجدَّ في السير نحوه بممارسته البر، والمحبة، والاتضاع، منشغلاً بالعمل أكثر من التفكير فيما يفعله.

✝ إن تقوى الأخ لورنس التي تعتمد على أساسه المتين، لا تعتمد على الرؤى ولا الاختبارات الفائقة. فهو كان مقتنعاً أنه حتى هذه الرؤى لو كانت حقيقية فهي علامات على ضعف النفس التي تتوقف عند مواهب الله أكثر من الله نفسه. وبعيداً عن فترة الابتداء الرهباني، فلا شيء من هذه الاختبارات دخل حياته، أو على الأقل لم يذكر شيئاً منها لهؤلاء الذين يضع ثقة كبيرة فيهم والذين يفتح قلبه لهم. وفي كل حياته اتبع خطوات القديسين في طريق الإيمان المضمون. وهذا لا يعني أنه ابتعد عن الطريق العادي للخلاص بالاختبارات المقدسة التي باركتها الكنيسة في كل الأجيال، أي بممارسة الأعمال الصالحة والفضائل المناسبة لحالته، ولكن أي شئ عدا تلك لم يكن يثق فيه.

✝ إن ذكاءه العظيم والنور الذى استمده من بساطة إيمانه، قد حفظاه من كل العقبات التي توجد في الطريق الروحي والتي

عندها يصطدم اليوم عدد كثير من النفوس، لأنهم يعطون أنفسهم لحب الفضول، والاستسلام لقيادة البشر، ولكل ما هو جديد.

✞ وإذ استعد بمثل هذه الحياة، واتَّبع هذا الطريق الآمن، نظر إلى مجيء الموت بدون قلق. كان صبره عظيماً خلال حياته كلها، لكنه نما عندما اقترب من النهاية. وبدا دون أية لحظة واحدة من الأسى، حتى في أعظم لحظات مرضه عنفاً. كان الفرح واضحاً ليس فقط على وجهه لكن أيضا في طريقته في الكلام، لدرجة أن أعضاء الجماعة الرهبانية الذين ذهبوا لزيارته اضطروا إلى سؤاله هل هو حقاً غير متألم؟ فأجابهم: «معذرة إنني متألم. جنبي يؤلمني، لكن روحي فرحة»، لكنهم استمروا يسألونه: «ولو أراد الله أن تتحمل هذه الآلام لمدة عشر سنوات أخرى، هل تظل فرحاً؟». فأجاب: «سوف أحتمل ليس فقط هذا العدد من السنين. بل لو أراد الله أن أتحمل آلامي حتى يوم الدينونة لوافقت طوعاً، ولسوف أظل أترجى أنه سيعطيني نعمة دائماً لأبقى فرحاً».

✞ ومع اقتراب ساعة مفارقته للعالم صرخ مرات ومرات: «الإيمان. الإيمان»، مُعبِّراً بهذا عن امتياز الإيمان عن أي كلام آخر يمكن أن يقوله. ولقد ظل يعبد الله بدون توقف. وقال لأخ إن سكنى الله في داخله لم يعد عنده مسألة «اعتقاد». بل إن نور

الإيمان يجعله يرى شيئاً من هذا الوجود في حضرة الله الأكيد. وكانت شجاعته أمام الموت جسارة كبيرة خلال رحلة فيها كل شئ يخيف، لدرجة أنه قال لصديق سأله عن هذا الأمر: «إنه لا يخاف لا من الموت ولا الجحيم ولا قضاء الله ولا جهود الشيطان». وإذ كانوا شغوفين بأن يسمعوا منه مثل هذه الأقوال المُعزِّية، استمروا في أسئلتهم. سأله واحد ألا يعلم أنه مخيف هو الوقوع بين يديِّ الله الحي، لأن لا أحد إطلاقا يكون متأكداً من استحقاقه للحب أو الكراهية؟ فأجاب: «أنا أوافقك، ولكني خوفاً من الغرور لا أريد أن أعرف شيئاً أفضل من أن يتخلى الإنسان عن نفسه لله».

✞ وبعد أن تناول من الأسرار الأخيرة، سأله أخ ماذا يفعل وما الذي يشغل روحه؟ فأجاب: «أنا أفعل ما سأفعله خلال الأبدية كلها، أنا أُبارك الله، وأُمجده، وأَعبده، بل وأُحبه من كل قلبي. هذا هو كل عملنا، يا إِخوتي، أن نمجد الله، أن نحبه، بدون أن نُقلق أنفسنا بأي أمر آخر».

✞ وهذه كانت كلماته الأخيرة، مات بعدها بقليل في سلام وهدوء اللذين عاش بهما. وموته كان في ١١ فبراير ١٦٩١ وكان في حوالي الثمانين سنة من عمره.